Ire. Année, No. 25

بدل الاشتراك عن سنة
صـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الاقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi 25-12-1933

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

العدد الخامس والعشرون — القاهرة فى يوم الاثنين ٨ رمضان سنة ١٣٥٢ — ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٣٣ — السنة الأولى

رمضان . . . .

نعم رمضان! ولا بد من رمضان بعد أحد عشر شهراً قضاها المرء في جهاد العيش، مستكلب النفس، مستأسد الهوى، متنمر الشهوة، ليوقظ رواقد الخير في قلبه، ويرهف أحاسيس البر في شعوره، ويُرجع روحه الى منبعها الأزلي الأقدس فتبرأ من أوزار الحياة، وتطهر من أوضار المادة، وتتزود من قوى الجمال والحق ما يُمسكها العامَ كله على فتنة الدنيا ومحنة الناس.

فرمضان رياضة للنفس بالتجرد، وثقافة للروح بالتأمل، وتوثيق لما وَهَى بين القلب والدين، وتقريب لما بعد بين الرافه والمسكين، وتأليف لما نفر من الشمل الجميع، وتندية لما يبس من الرحم القريبة، ونفحة من نفحات السماء تغمر دنيا المسلمين بعبير الخلد وأنفاس الملائكة!

ورمضان كله عيد وطني شامل، تفيض بالسرور أنهاره، وتغرق في النور لياليه، وتفترّ بالانس مجالسه. فالرجال يحيون اماسيه في محافل القرآن او منازل اللهو النزيهة، والنساء يوزعن الوداد والأنس على الأبهاء الكثيرة، والاطفال المازجون يزينون الطرقات بفوانيسهم الملونة الصغيرة، والبيوت الباقية على العهد تتقرب الى الله بالذكر والصدقات، والمساجد المقفرة طول العام تعج بالوعظ والصلوات، والمآذن الحالية بالمصابيح، الشادية بالتسابيح، ترسل في اعماق الأبد نور الله وكلمته!

فهرس العـــدد

وكل شيء في رمضان جذلان مغتبط ، ماعدا الرومي في الحان ، والشيطان في كل مكان !

ورمضان مظهر قومي رائع ، يعيد الى القاهرة عز القرون المواضي ، فيصبغ لونها الاوربي الحائل بصبغة الشرق الجميلة ، ويرفع صوتها الخافت بشعائر الصوم الجليلة ، ويبرز شخصيتها الضائعة في زحمة الاجانب بالمظاهر الرسمية للحكومة ، والتقاليد العرفية للشعب . وما أروع القاهرة في سكتتها عند الافطار ، وجلبتها عند السحور ، وهزتها ساعة انطلاق المدفع !

ورمضان بعد ذلك كله رباط اجتماعي وثيق ، يؤكد أسباب المودة بين اعضاء الاسرة بالتواصل والتعاطف ، وبين افراد الأمة بالتزاور والتآلف ، وبين اهل الملة بذلك الشعور السامي الذي يغمرهم في جميع بقاع الأرض بأنهم يسيرون الى غاية الوجود قافلة واحدة ، ممتزجة الروح ، متحدة العقيدة ، متفقة الفكرة ، متشابهة النظام ، متماثلة المعيشة

ولكن رمضاننا الأول وا أسفاه لم يخف على طبع المدنية الحديثة ! فرمته بقلة الانتاج وكثرة الاهلاك وشل الحركة وقتل الصحة ، ونفته الى أحياء العمال وقرى الفلاحين ، واتخذت لنفسها من بقاياه رمضان آخر رقيق الدين ، خفيف الظل ، باريسي الشمائل ، يبيح النظرة المريبة والكلمة العارية والأكلة الدسمة والسيجار الغليظ ، ولا يسألهم من ظرفه الا ان يجعلوا العشاء عند الغروب وبعد طلقة المدفع ! واذا كان في بيوت المحافظين قارىء يقرأ القرآن ، وذاكر يذكر الله ، فليكن في بيوت المتجددين (راديو) يرجع اصوات الغناء ، وحاك يردد اهازيج الرقص !

وهكذا تجد الليالي ونحن نلعب ! كأنما كتب علينا أن نأخذ الحياة من جانبها الفضولي العابث فنتأثر بها ولا نؤثر فيها ، وكأنما همنا ان نعيش صعاليك على تقاليد الأمم دون ان يميزنا خصيصة من قومية ، ولا شعيرة من عقيدة ! وكأنما الشعائر التلمودية القاسية عاقت اليهود عن المغامرة والنبوغ والتقدم !

أما رمضان القرية فلا يزال يحل من أهلها محل النور من العين والمهجة من القلب ! تجسمت في خواطرهم صورته حتى جعلوه رجلا له حياته وعمره وأجله .. يذكرونه على شهرين من مقدمه ، فيحسبون حسابه ! ويهيئون أسبابه ، حتى اذا دب اليهم من غيوب الآباد دبيب الهرم سلسلت الشياطين ، وأرسلت الأملاك . وهبطت الأرواح ، ودرت أخلاف الخير ، واغدودقت أصول النعم ! هنالك يملك القرية شعور تقي هادىء خاشع ، فلا تعود تسمع لغواً في حديث ، ولا عنفاً في جدل ، ولا بغياً في خصومة ! فاذا أذهل أحدهم الغضب فرفع صوته ندم عجلان واستغفر ثم قال : اللهم اني صائم ! ذلك لأن رمضان يرجع الفلاح نقيا كقطرة المزن ، طاهراً كفطرة الوليد . فلا يقتل ولا يسرق ولا يشهد الزور ولا يقول الهجر ولا يأتي المنكر . وما أجمل أن ترى فاتك الأمس ناسك اليوم ! يمشي من البيت الى المسجد في ثوبه النظيف وئيد الخطو ، غضيض الطرف ، لا تترك المسبحة يده ، ولا يفتر عن التسبيح لسانه ، فاذا قابل القروية الجميلة وعلى رأسها الجرة ، اتحد جمالها في نظره ، بجمال الخير في نفسه ، فأمعن في التسبيح واستغرق في الله ، لأن ابليس في رمضان سجين ، وباب الغواية مغلق !

يقضون صدر النهار في تصريف أمور العيش ، ثم يجلسون على المصاطب في أشعة الأصيل الفاترة يستمعون القصص أو الوعظ . حتى اذا تضيفت الشمس جلسوا في الطريق أمام بيوتهم فمدوا الموائد على الأرض ، ودعوا اليها عابري السبيل وطالبي الصدقة ، ثم لا يلبث الاخاء المحض أن يجعل الموائد المتعددة مائدة واحدة ، يصيب منها من يشاء ما يشاء !

أما ليلهم فاستماع للقرآن ، واستقبال للاخوان ، ومسامرة مشتركة ساذجة تجمع افنانا شتى من شهي الحديث . وكلما انقضى نهار من رمضان تغضن سرار من وجوه القوم ، حتى اذا لم يبق الاربعه الأخير تمثلوه محتضرا يكابد غصص الموت ، فندبوه في البيوت والمساجد ، ورثوه على السطوح والمآذن ، وبكوه يوم (الجمعة اليتيمة) أحر بكاء

فاذا كان المغرب الاخير ولم يبق من رمضان الا بقية روح ، خامرهم الخوف من انطلاق الشياطين السجينة ، فجلس الصبيان على ابواب الغرف يكررون البسملة ويضربون حديدا بحديد ، ليحفظوا البيت من دخول شيطان مريد !

ذلك رمضان كما تدركه الفطر السليمة والقلوب المؤمنة ، وهو وحده الباقي لفلاحنا من غفلات العيش ولحظات السعادة ! ولكن وا أسفاه ! لقد أفسدت الأزمة رمضان القرية ، كما افسدت المدنية رمضان المدينة !

احمد حسن الزيات

وقفة على جسر اسمعيل

للاستاذ عبد الحميد العبادى

اذا حق لبغداد ان تباهى فى غابر أيامها بلدان العالم بجسرها الاكبر الذى كان معقوداً فوق دجلة ، والذى يقول فيه على بن الجهم:

عيون المها بين الرصافة والجسر   جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

واذا كانت « فروق » عاصمة الترك من آل عثمان تذوب حياء وخجلا كلما أنشد قول شوقى فى جسرها المتهدم المتساقط :

أمير المؤمنين رأيت جسرا   أمر على الصراط ولا عليه

فمن حق القاهرة أن تسحب الذيل تيها وافتخارا بجسر اسمعيل فهو من غير شك أعظم من جسر بغداد وأروع ، وهو لم يظفر بمثله بلد عظيم ظل متبوع مصر أحقابا طوالا .

* * *

نشدتك الله أيها القارىء ألا ماوقفت مرة بذلك الجسر فى أى وقت شئت ، وعلى أى حال كنت . قف بكرة ، أو ضحى ، أو أصيلا . قف فى الهزيع الأول أو الثانى من الليل . قف صيفا ، أو خريفا ، أو شتاء ، أو ربيعا . قف فتى مقتبل السن ، أو كهلا قد توسط الحياة ، أو شيخا نالت منه السنون ؛ فانا زعيم لك بانك واجد جمالا يملأ الجوانح ، وحسنا يستغرق العقل . هنا الجمال ! هنا الروعة ! هنا الفتنة ! هنا قطعة من رياض الجنة ، أهبطها الله الأرض ثم أباحها الناس جميعا ؛ يستمتع بها الغوى والمهتدى ، والمقتصد فى أمره ، ومن كان على نفسه مسرفا .

* * *

جسر رشيق التكوين ، موزون الأبعاد ؛ يساير الشمس من مشرقها الى مغربها ، والقمر من لدن بزوغه الى أفوله . فأن غابت الشمس وأبطأ القمر فالدلج السارى عوض عنهما فى السرج الوهاجة القائمة على جانبيه ترسل نورا هادئا لينا لايفرق البصر ولايحسره . حتى كأن الكواكب قد دنت فتدلت ، فاختار منها مهندس ذلك الجسر ماشاء ، ثم نظمه سمطين على حافتيه .

ثم هو لاتهدأ عنه الرجل ساعة من ليل أو نهار . فى النهار ترى افواج الساعين فى الأرض تتدافع فوقه بالمناكب والمراكب . فاذا تصرم النهار ، وطفلت الشمس لنغروب ، رأيت المتروحين المتنزهين يغشونه زرافات ووحدانا ، يلتمسون طيب الهواء ، وجمال المنظر ، وبهجة الخاطر . فاذا اختلط الظلام وأرخى الليل سدوله بات الجسر مترادا ومذهبا لقصاد الجزيرة من العابثين اللاهين ، والعشاق المدلهين . سيماهم حديث مغمغم ، ورءوس متساندة وأصابع مشتبكة ، وخطى مضطربة ، قد لفهم أليل من نور القمر أو المصباح فى مثل الكلة المخرمة تبين ما اشتملت عليه وتستره ، وتخفيه وتظهره ، على ان كلا آمن مطمئن كأن تلك الاسود المقعية عند طرفى الجسر أرصاد موكلة بحراسة الجسر وروّاده .

ثم ارم ببصرك ذات اليمين وذات الشمال . فهذا النيل أكثر انهار الارض بركة ، وأحفلها بالذكرى ، ينساب متدفقا مترفقا ، يصافح متنه نسيم الأصيل فيحيله وشيا منمنما ، وتصب عليه الشمس أشعتها الفضية والذهبية فتحيله تارة لجينا سائلا وأخرى ذهبا مذابا . حتى اذا غربت الشمس وتألق الافق وانعكست فيه صور النجوم والمصابيح التى تكتنفه من كل نواحيه ، رأيت المجرة بين يديك ، ان شئت خضتها خوضا ، وان شئت لججت فيها تلجيجا .

وهذه الجزيرة تعترض الافق الغربى بنخلها الذاهبة فى السماء ، واشجارها الجاثمة على الأرض ، وبنورها الضاحك وطيرها الصادح كأنها هى حجة بليغة على ما يقابلها من معاهد وديار يعيب بها كل ماحولها ان ... ليس هذا بعشك فادرجى ، ومع ذلك فقد أعدت هذه الدار والمعاهد عدوى الحسن المجسم أمامها فأكسبتها رقة مدنية ، وخلعت عليها مسحة من جمال تعرفها فى الدار والديار .

* * *

كل جزء من أجزاء هذا المنظر الفخم يسر اليك نجوى ، ويتلو عليك نبأ . فهذا الجسر يصور لك الحياة معرفة بين نكرتين ، ومعلوما بين مجهولين . وهذه الخلائق التى تتصرف فوقه آناء الليل واطراف النهار ، عملا ، واستراحة ، ولهوا ، كانى بها تحدثك بان لا بأس علينا من أعمالنا متى صدرت مطاوعة لحاجات نفوسنا . وهذه الجزيرة التى يبدو لك بالنهار نخلها وشجرها عرائس تونق العين وتفتن القلب ، فاذا أظلم الليل تراءت فوق الأفق شخوصا او اشباحا توحشك وتروعك ، كأنى بها تفضى اليك بان للظواهر دون الحقائق الأثر الأقوى فى توجيه حكمنا على الاشياء . وهذه الثكنات الغاصة بالجند والملأى بالسلاح ، ماعبرتها وماباتها ؟ استمع اليها تخبرك لمن كانت امس ، ولمن هى اليوم ؟ وتنشدك قول شجرة عدى بن زيد :

رب ركب قد أناخوا عندنا   يشربون الخمر بالماء الزلال
عصف الدهر بهم فانقرضوا   وكذاك الدهر حالا بعد حال

أما النهر الدافق ، والجو الرائق ، والنجوم اللامعة ، والشمس الساطعة ، فتلك كلها السنة تهتف بأن العزة والدوام لله وحده ؟

الأحنف بن قيس

للاستاذ احمد أمين

ضئيل الجسم ، صغير الرأس ، متراكب الأسنان ، مائل الذقن ، ناتئ الوجنة ، غائر العينين ، خفيف العارضين ، أحنف الرِّجل ، ليست خصلة تدل على قبح المنظر إلا وهو آخذ منها بحظ ، تنبو عن مرآه الاحداق ، وتتفادى من شخصه الأبصار ، وهو مع هذا سيد قومه ، سيد تميم ، وهي ما هي في العظمة — إن غضب غضب لغضبته مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب ، خطير النفس ، بعيد المرمى ، ما زال يسود حتى بلغ مرتبة لا يسمو اليها أمل ، ومنزلة لا يتعلق بادراك ، اذا أوفد وال وفداً الى خليفة فالاحنف أحد الوفد أو رئيسه وخطيبه ، واذا اختلف الأمراء على الخلافة فالاحنف من أول من يفكرون في اصطناعه ، واذا حزب الامر ، وعظم الخطب ، فالاحنف من يفزَع اليه في المشورة — دوى اسمه بين المسلمين في الأحداث الأولى للاسلام ، وخرج منها على كثرتها وتعقدها واضطراب الاهواء فيها — نقي السيرة ، يقر بعظمته من كان له ومن كان عليه . وظل اسمه علماً رفيعاً في نواح مختلفة على مر الازمان ، إن أُرِّخت الحروب الاسلامية فأحد قادتها وغزاتها ، وإن ذكرت الاخلاق فأحد أشرافها ونبلائها ، وان أوّرخ الادب والخطب والحكم والامثال فهو ابن بجدتها .

ولد قبل الاسلام ولكن لم ينل شرف الصحبة لرسول الله ، ووقف من أول أمره وهو فتى موقفاً يدل على قوة عقله وصدق نظره ، فان رسول الله (ص) أرسل رجلا الى بني سعد رهط الاحنف فجعل يعرض عليهم الاسلام ، فقال الاحنف لقومه : إنه يدعو الى خير ، ويأمر بخير ، فلمَ لا تجيب دعوته ، وسرعان ما ساد تميماً وهي قبيلة من أعز القبائل وأقواها وأشرفها ، كانت تسكن مساحة كبيرة من جزيرة العرب تشمل نجداً وجزءاً من البحرين وجزءاً من اليمامة ، وانقسمت تميم لكثرتها الى فروع كثيرة كانت تتعادى أحياناً وتتحالف أحياناً ، ولذلك لم يكن عجيباً أن يتهاجى الفرزدق وجرير شر هجاء ، وكلاهما من تميم ، ولكنهما من فرعين مختلفين — حاربت تميم نفسها ومن حولها في الجاهلية ، وشغلت حروبها أياماً كثيرة من أيام العرب . وكان لتميم راية في الحروب خاصة على صورة العقاب ، كما كانت راية بني أسد على صورة الاسد — ثم أسلمت وحسن اسلامها . ولكنها ارتدت أيام الردة الى أن ردها خالد بن الوليد الى الطاعة ، وكفرت عن ردتها بما بذلت من جهود في الفتوح ، حتى اذا تم الفتح سكن بعضها الكوفة وبعضها البصرة . وكان الاحنف بن قيس سيد تميم البصرة — وقد ظلت تميم في الاسلام وفيها ألوان كثيرة من ألوان البداوة . ومن هذا النوع من البداوة ما بدا من نزعتهم الخارجية . فقد كثر الخوارج من تميم ، وكان قَطَريّ بن الفُجَاءة وكثير ممن تبعه من الازارقة من قبيلة تميم .

وأنجبت تميم كثيراً من نوابغ الشعراء لا يعنوننا الآن ، كما أنجبت كثيراً من السادة والاشراف والعظماء ، وكانوا سلسلة كسلسلة الذهب متصلة الحلقات يتعلم بعضهم من بعض خلق السيادة كما يتعلّم العلم على الاساتذة ، وكان أستاذ الاحنف ابن قيس في السيادة « قيس بن عاصم » المنقرى التميمى الذى قال فيه رسول الله (ص) لما رآه « هذا سيد أهل الوبر » وقد قيل لقيس هذا : صف نفسك . فقال أما في الجاهلية فما هممت بملأمة ، ولا حُمْتُ على تُهَمة ، ولم أر إلا في خيل مغيرة أو نادي عشيرة ، أو حامي جريرة . وأما في الاسلام فقد قال الله تعالى : « ولا تزكوا أنفسكم » وقد نزل في البصرة كتلميذه الأحنف ، وتعلم الأحنف منه الحلم ، ولما مات قال فيه القائل :

عليك سلام الله قيس بن عاصم
ورحمته ما شاء أن يترحما

وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكنه بنيان قوم تهدّما

خلف الاحنف قيساً في السيادة ، وكان أبو موسى الاشعرى واليا على البصرة فبعث بوفد منها الى عمر بن الخطاب فكان

الاحنف أحدهم وخطب بين يدى عمر يسترعيه النظر لأهل البصرة. فاعجب به عمر وقال: هذا والله السيد! فدوت هذه الكلمة فى الانحاء.

أكثر الواصفون فى ذكر الاحنف ومزاياه وسيادته، والسيادة أنواع، وقد ترى لكل سيد طعماً لا تجده فى سيد آخر، ولكل سيد نقطة تتركز فيها عظمته قد لا يشركه فيها سيد آخر، فسيدٌ عظمته فى شجاعته، وسيد عظمته فى سخائه وسيد عظمته فى قول الحق يجهر به والسيف على رأسه، فان نحن سئلنا عن مركز العظمة فى الاحنف، فعظمته كانت تتركز فى خصلتين تتصل إحداهما بالاخرى اتصالا وثيقاً: أنه منح نظراً صائبا يتعرف به المحاسن والمساوى، ومعالى الامور وسفسافها، وقلّ أن يخطىء فى ذلك، ثم منح الى ذلك ارادة قوية يحمل بها نفسه على ما أدرك من معال ومحاسن مهما كلفه من مشقة وحمّله من جهد، فلو علم أن الماء يفسد مروءته ماشربه؛ وهى - كما ترى - نقطة ارتكاز يحمل فوقها كثير من الفضائل، على حين أن نقطة الارتكاز عند كثير من السادة لا تتحمل الافضيلة واحدة

وهذا يفسر كل ماروى عن الأحنف، كان لا يعبأ بالمال، وكان لا يعبأ بالحياة، وكان يفر من الشرف والشرف يتبعه، وكان يخضع للحق اذا لزمه خضوع الذليل المستخذى، واذا كان الحق بجانبه دافع عنه دفاع المستأسد الضارى، يقف أمام على وأمام معاوية وأمام زياد بن أبيه فيجهر بالحق الصريح من غير مجمجة ولا مواربة ولا يبالى ما بعده

تولى فى زمن عمر بن الخطاب فتح خراسان فدوخ الفرس ومَلِكهم يزدجرد ولقى من الحروب ما تشيب من هوله الولدان، ولكنه صبر وظفر، وأنجد ملكَ الفرس التركُ وأهل فرغانة والصُغد فلم يكن فيهم أمام الاحنف وجنده غناء

ووقف الاحنف العربى البدوى وليد الصحراء فى شملته يطارد يزدجرد المتوّج ربيب النعمة، وعصارة المدنية، وسليل الاكاسرة، ونتاج الحروب المنظمة بين فارس والروم، فى العدد والعديد، والجنود والبنود، فظفر التميمى بسيد فارس وطارده حيثما حل حتى جاوز حدود بلاده وخرج منها لا الى رجعة. «وأقبل أهل فارس - كما يقول ابن الاثير - على الاحنف فصالحوه ودفعوا اليه الخزائن والاموال وتراجعوا الى بلدانهم وأموالهم، على أفضل ما كانوا عليه زمن الاكاسرة، واغتبطوا بملك المسلمين».

فلما نشبت الحرب بين علىٍّ ومعاوية رأى الحق فى جانب علىّ فانضم اليه بقومه، وأعان عليا بسيفه ورأيه، فاشترك معه فى حرب صفين ونصحه ألا يكون أبو موسى الاشعرى حكما، وظل مخلصاً له العمل والقول حتى قتل علىّ. ودانت البلاد لمعاوية فاطاع معاويةَ فى شمم وإباء، فقد دخل عليه يوماً فقال له معاوية: أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين، فقال له يامعاوية لاتذكر ما مضى منا، ولا ترد الامور على أدبارها، فان السيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا. والقلوب التى أبغضناك بها بين جوانحنا، والله لا تمد الينا شبراً من غدر الا مددنا اليك اليك ذراعا من ختر، وان شئت لتستصفين كدر قلوبنا بصفو من عفوك. فقال له معاوية فانى أفعل، ثم استرضاه ومن معه

ولما أراد معاوية ان يبايع لابنه يزيد أخذ الناس يتكلمون فى مدح يزيد والثناء عليه، ويمدحون معاوية على عمله والاحنف ساكت، فقال له معاوية: مالك لا تتكلم يا أبا بحر وكانت كنيته فقال قولته المشهورة: «أخاف الله ان كذبت وأخافكم ان صدقت» فكانت كنايته أبلغ من التصريح

ويظهر انه بعد ان قتل علىّ رأى من المصلحة للسلمين ان يشايع الامويين، فأن هذا أقرب الى الوحدة وأدعى الى الالفة حتى مع ماهم فيه من ظلم أحيانا وطغيان احيانا، يدل على ذلك تاريخه وقوله فقد استنصره الحسن بن على على معاوية فلم يجبه وقال «قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهم ايالة الملك ولا مكيدة الحرب» - وكان بينه وبين عبدالله بن الزبير جفاء. فلم يشايعه فى الخروج. ورأيناه ينصح قوما من تميم أرادوا ان ينضموا الى ابن الزبير الا يفعلوا

ولكنه كان يطيع الامويين وولاتهم طاعة الحازم العاقل، يتقدم فيما يرى ويمحضهم النصح فى صدق وإخلاص،

ولهم قف مع زياد من خير المواقف أثرا فى تاريخ الاسلام، فقدهم زياد ان يقتل الموالى لكثرتهم ومزاحمتهم العرب فاستشار الاحنف فقال إن ذلك ليس لك، ان رسول الله لم يقتل من الناس من قال لا اله الا الله وشهد أن محمدا رسول الله وانهم غلة الناس، وهم الذين يقيمون أسواق المسلمين، أفتجعل العرب يقيمون أسواقهم قصابين وجزارين و حجامين؟ فأذعن زياد لرأيه ونزل على اشارته، ويقول الاحنف انه مابات ليلة أطول منها خشية ان ينفذ زياد فكرته

ووقف فى البصرة موقفا بديعا يصلح بين القبائل المختلفة المتعادية من الازد وبكر وعبد القيس، ويبذل من ماله ديات لما يقع من القتل حتى يلتئم صدعهم ويجتمع شملهم ويعيشوا فى البصرة عيشة هادئة مطمئنة

لقد عابوا عليه أنه ذكر أمامه الزبير بن العوام عندما ترك القتال يوم الجمل ومر ببنى تميم فعابه الاحنف وقال جمع الزبير بين الناس يقتل بعضهم بعضا ويريد ان ينجو الى اهله! فتبعه رجل سمع هذا القول فقتله، فقال الناس ان الاحنف قتل الزبير بكلامه

كما عابوه بأنه كان سميعا مطيعا لجاريته «زبراء» حتى كان الناس يكنون عن وقوع الحرب بقولهم «غضبت زبراء» لانها اذا غضبت غضب الاحنف، واذا غضب الاحنف شرعت الاسنة وانتضيت السيوف

ولكن أى عظيم لا يعاب؟ وكفى الاحنف نبلا أن كانت عيوبه من هذا القبيل لا تخدش شرفا ولا تجرح عرضا

وللاحنف ناحية أخرى بديعة هى ناحية أدبية غزيرة أمدت كتب الادب العربى بغذاء صالح قوى، هو ماروى عنه من جمل حكيمة جمعت الى حسن اللفظ وقوته، جودة المعنى وصحته، ونضحت عليها صفات الاحنف النبيلة الشريفة وكانت خلاصة لحياة حافلة بالتجارب. كانت هذه التجارب والمعانى فى دماغ ارسطو اليونانى الفيلسوف فصاغها صياغة علم وفلسفة، وكانت فى دماغ الاحنف بن قيس العربى البدوى فصاغها فى شكل حكم وأمثال وجمل موجزة، تحمل معانى غزيرة. فكان لكل مزايا منهجه فى النظر ومنهجه فى القول

لقد دخل الاحنف فى الاسلام مابدأ به أكثم بن صيفى من الحكم فى الجاهلية، وزاده الاسلام غزارة وفيضا. وكانت حياته العملية من حروب واتصال بالسلطان والولاة وخبرة بالناس ونزاعهم وأنظارهم، وسيادته وكثرة سؤال الناس له عما سوده ـ مددا صالحا يستقى منه حكمه وأقواله. من مثل قوله: أنصف من نفسك قبل أن ينتصف منك، ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة، شريف من دنى، وبر من فاجر، وحليم من أحمق. لا خير فى قول إلا بعقل، ولا فى منظر إلا بمخبر، ولا فى مال إلا بجود، ولا فى صديق إلا بوفاء، ولا فى حياة إلا بصحة وأمن ـ ومن حق الصديق أن تحتمل له ثلاثا: ظلم الغضب، وظلم الدالة، وظلم الهفوة. الخ الخ وله أقوال فى الولاة وفى الصداقة وفى السؤدد وفى مكارم الاخلاق ملئت بها كتب الادب، تدل على صدق نظر، وصحة تجربة، وقدرة على صياغة ذلك فى جمل رصينة

من أجل هذا كله نال عند الناس منزلة قل أن يطمع فيها طامع، يعجب الناس بعقله حتى يقول سفيان: ما وزن عقل الاحنف بعقل أحد إلا وزنه، ويعجبون بسيادته وهيبته حتى يقول القائل:

إذا الابصار أبصرت ابن قيس ظللن مهابة منه خشوعا

فلله الاحنف قائدا فى الحروب لا يبارى، ولله الاحنف سيدا فى قومه مطاعا، ولله الاحنف حكيما مجربا، ولله الاحنف بليغا مفوها ـ ولله السعدية إذ رثته فقالت: «نسأل الله الذى ابتلانا بموتك، وفجعنا بفقدك أن يوسع لك فى قبرك، وأن يغفر لك يوم حشرك، فلقد عشت مودودا حميدا، ومت سعيدا فقيدا، ولقد كنت رفيع العماد، وارى الزناد، ولقد كنت فى المحافل شريفا، وعلى الارامل عطوفا، ومن الناس قريبا، وفيهم غريبا، وإن كانوا لقولك مستمعين، ولرأيك متبعين. رحمنا الله وإياك»

لقد عمر طويلا ومات سنة ٦٩ هـ ودفن بالكوفة فرحمة الله عليه؟

فلسطين

بقلم كنيث وليامس

نشرت مجلة (الفورتنيتلي) الانجليزية فى عددها الاخير للستر كنيث وليامس الكاتب السياسى الخبير بشؤون الشرق الادنى مقالا عن المسألة الفلسطينية استعرض فيه بعض وجوهها الهامة ، وأدلى فى حلها برأى جديد ، فرأينا أن ننقل الى القراء أهم ما فيه لارتباطه بموضوع الصهيونية الذى عالجناه من قبل .

سياسة الانتداب فى فلسطين سياسة غير عملية ، وقد فشلت . وسوف تعانى بريطانيا العظمى منها المتاعب مابقيت تسير عليها .

هذا رأى وضعى ؛ واقعى ، تنبؤى معا ، والحقائق أسهل الاشياء إثباتا . وقليل من الانكليز العارفين بالمسألة الفلسطينية يجادلون فى هذه النبوءة . وقد جاءت حوادث اكتوبر الماضى مؤيدة لها . بيد أنه لم تقم قرينة حقيقية على ان سياسة الانتداب مذ بدىء بها سنة ١٩٢٠ قد قبلتها أغلبية السكان الفقراء ، بل لقد غص العرب دائما بذلك العهد الذى احتواه الانتداب بالعمل على تسهيل إنشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين : وليست هناك وسيلة أو ظاهرة من الفوائد المادية التى تزعم الصهيونية أنها تغدقها على فلسطين يمكن ان تحمل العرب على قبوله ، فالعرب لايريدون الانتداب بكل بساطة .

ولكن الساسة الانكليز لايؤمنون بهذا ، أو على الاقل يتظاهرون بعدم الايمان به ، ويقولون ان عرب فلسطين أقلية ضعيفة ممزقة ، وليس لها مميزات عقلية من الوجهة السياسية ومن ثم حتى يجرؤوا على مقاومة الانتداب الذى أخذته بريطانيا العظمى على نفسها ، والذى حصلت من أجله على مصادقة عصبة الامم ثم يقولون ان العرب شعب مشاغب ؛ يشغفون بالتظاهر وإرسال الوفود السخيفة الى لندن ؛ ويقولون أخيراً : نحن نعرفهم جيداً ، فاحكموهم بحزم ؛ ودعوهم يستفيدون من الذهب اليهودى . والزمن كفيل بانضوائهم الى رأينا .

ولكن ساستنا يخففون من غلوائهم أحيانا ؛ فقد صرح وزير المستعمرات فى ٣١ اكتوبر الماضى بقوله : « أريد أن أتحدث الى الشعب الفلسطينى بجلاء . ان الانتداب يحمل واجباً للعرب واليهود . وسوف نؤدى هذا الواجب تاماً عادلا دون خوف أو تحيز . . . وسوف تضع السياسة البريطانية نصب عينها دائما أن تعمل على خير فلسطين كلها » . ولا يستطيع وزير المستعمرات ان يزعم أن فى كلماته طرافة ، فهى على صحتها ودقتها خالية من التعمق وبعد النظر . وقد قال مثلها كل وزير للمستعمرات ، ولم تثمر كلها شيئا . ولماذا ؟ لأنك لاتستطيع اليوم أن تخدع العرب بالوعود والشروح ، فهم يعرفون كل تدليل يمكن أن تقدمه الدولة المنتدبة أو الصهيونية لتأييد التعاون بين العرب واليهود فى فلسطين ، أو القول بان قيام الوطن القومى اليهودى فى أرضهم فيه خير لهم

وقد نفهم وان كنا لانستسيغ مانفهم ، أن يلقى كل وزير للمستعمرات كلما وقع اضطراب فى فلسطين ، نفس الكلمات القديمة ، أقول لسنا نستسيغ هذا ؛ لأن الحقيقة الواضحة هى أن السياسة البريطانية فى فلسطين قد أظهرت انها تتأثر بعوامل الخوف والتحيز ، فكل إنسان يذكر كيف أن الاضطرابات التى وقعت فى أرلنده بعد الحرب قد انتهت بعقد المعاهدة الانكليزية الارلندية ، وكيف أن ثورة العرب فى الجزيرة (العراق) قد احدثت تغييرا جوهريا فى السياسة البريطانية فى العراق ، وكيف أن الاضطرابات التى وقعت بمصر بعد الحرب قد انتهت باعلان استقلالها سنة ١٩٢٢ (تصريح فبراير) وهكذا . الواقع ان السياسة البريطانية تقلبت فى فلسطين تقلبا ظاهرا ومن الصعب أن نقول أن الادارة العسكرية التى قامت فى فلسطين منذ الهدنة الى سنة ١٩٢٠ . رحبت بالصهيونيين الذين سمح لهم بدخول فلسطين تطبيقا لعهد بلفور ، فقد كان عطفها على العرب ظاهرا ، ولكن حكومة لندن لم تكن تعنى كثيرا بشأن العرب ، وكانت بالعكس تعنى ليل نهار بأمانى الصهيونيين ومقاصدهم . وكان مستر لويد جورج وقت رآسته للوزارة قبل الحرب ، قد عقد الصداقة مع الدكتور وبزمان الزعيم الصهيونى ، فادى وبزمان للحلفاء خدمة جليلة باختراع المفرقعات القوية ، وكانت هذه الصداقة نواة تصريح بلفور وأصله ، حسبما يصرح مستر لويد جورج فى مذكراته

ويمضى الكاتب بعد ذلك فى الحديث عن الادارة الانكليزية فى فلسطين ، فيقول ان عهد السير هربرت صمويل أول مندوب سام كان حسنا ، وانه ترك فلسطين سنة ١٩٢٥ فى حالة يسر وان لم ينجح فى إقناع العرب بقبول الانتداب . ولم يعن خلفه اللورد بلومر بالمشكلة السياسية ؛ ولكنه عنى بالعمل على توطيد أركان الأمن والسلامة . وسادت السكينة فى عهده حتى انه نصح بتخفيض عدد القوات المحتلة . بيد أن هذه السكينة ترجع الى اغتباط العرب بما آلت اليه الصهيونية يومئذ من الاضطراب ،

وما عانته من أزمات جعلت اليهود يغادرون فلسطين بكثرة . وفي عهد خلفه السير جون تشانسلور وقعت اضطرابات سنة ١٩٢٩ ، فاقتضت تعزيز القوات المحتلة وارسال لجنة برلمانية للتحقيق (لجنة شو) ، ولجنة لبحث مسألة الأراضي والهجرة . وألقت تقارير اللجنتين ضوءاً جديداً على قضية العرب ؛ ونوهت بوجوب إعادة النظر في طبيعة الانتداب وتوجيه السياسة البريطانية في فلسطين توجيها واضحا . ولما صدر الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٠ ، شعر العرب أن قضيتهم تسير في سبيل الفوز .

ثم يقول : ولكن اغتباط العرب بالكتاب الأبيض لم يطل أمده : فقد بذلت الصهيونية جهوداً عظيمة مقرونة بالوعيد لنقض الكتاب الأبيض ، فعاد مستر مكدونالد يفسر الكتاب الأبيض في خطابه الشهير الى الدكتور ويزمان في فبراير سنة ١٩٣١ : فكان الخطاب مثلا محزنا جديداً على ضعف الحكومة في المسألة الفلسطينية . وليس مثل هذا الضعف مما يرضى ، بل ليس عادلا ولا متفقا مع الكرامة . ولن يستتب السلام في فلسطين إلا إذا أعيد النظر في مسالة الانتداب ؛ ومن الواجب أن توضع سياسة جديدة على أسس التصريحات الرسمية السابقة في الموضوع ، وتجرى عليها كل الوزارات البريطانية ، ويجب أن يستشار زعماء الاحزاب البريطانية الثلاثة ، وأن يقنعوا بضرورة إخراج المسالة الفلسطينية من معترك السياسة الحزبية ، والسير فيها على خطة لايحيد أحد عنها . ولا يستطيع سياسى بريطانى أن يزعم أنه قد وضعت بعد قاعدة لسياسة مرضية في فلسطين ؛ والأمر يقتضى شجاعة أكثر لمواجهة الحقائق ، فزمن المعجزات في فلسطين قد مضى .

واستمرار السياسة الحاضرة ليس في صالح اليهود ولا العرب ولا الامبراطورية البريطانية . فانظر اليها من الوجهة اليهودية مثلا : هل يبقى الانتداب الى الأبد ؟ وهل تتصور أن يقنع الصهيونيون الى الأبد بالاعتماد على الحراب البريطانية ؟ لا ريب أن الدولة المنتدبة لم تكسب عرفان الشعب اليهودى بسياستها في فلسطين

أما معارضة العرب للانتداب فلا حاجة الى ذكرها ، ويزعم البعض أن هذه المعارضة من تدبير أقلية مغرضة من « الأفندية » الذين يفقدون نفوذهم السابق بين الفلاحين بسبب ازدياد الرخاء الذى يحدثه الصهيونيون . وهى قصة سخيفة ، لا يؤمن بها غير أولئك الذين لا يعتقدون بقيام أية ثورة شعبية في أى بلد . وسواء أكان الحكم الذاتى نعمة أم لا ، فلا ريب أن عرب فلسطين قد تطلعوا اليه . ولكن على غير طائل . ثم إنا نجد الدليل على أن العرب انما يعارضون سياسة الانتداب في مظاهرات اكتوبر الماضى التى لم توجه الى اليهود كما كان يحدث من قبل ، ولكنها وجهت الى الدولة المنتدبة ذاتها .

واذا لم تتفق الاحزاب البريطانية على اتباع سياسة جديدة في فلسطين ، فان خير سبيل تسلكه الحكومة البريطانية هو ان تتقدم الى عصبة الامم ، وتقترح عليها ان ترد اليها الانتداب الذى منحته . وهو رأى سيعترض عليه بمنتهى الشدة ، وينعت بالخيانة ، وضياع الهيبة . ولكن العصبة تعرف أن الانتداب (قسم ٢) يراد به السير بالشعوب ذات الشأن إلى الاستقلال . واذا لم يكن ثمة ريب في ان على بريطانيا واجبا ادبيا في حماية اليهود الذين دخلوا فلسطين ، فان اولئك اليهود لايقيمون اى دليل على أنهم يستميلون اهل البلاد ، فهل تحمل بريطانيا في مثل هذه الحالة واجبها الى الابد ؟

واذا القى مثل هذا الاقتراح الى العصبة فهى اما ان ترد بان تطلب الى بريطانيا استئناف الانتداب ، وهنا تستطيع الدولة المنتدبة ان تضع بنفسها شروطها ، وأما ان تقبل العصبة نزول بريطانيا عن الانتداب . ولو قبلت العصبة هذا النزول فماذا يكون ؟ هل في ذلك ما يضير الامبراطورية البريطانية ؟ ان الصهيونيين يتحدثون كثيرا عن اهمية فلسطين للدفاع عن قناة السويس ، ولكن الدفاع عن القناة انما يكون على يد القوى المعسكرة على ضفافها ، ثم يقولون ان ميناء حيفا الذى افتتح منذ اسبوع سيغدو قاعدة عظيمة للاسطول البريطانى . ولكن اين هى القوات البحرية التى يمكن ان تهاجم الاسطول البريطانى في مياه الليفانت ؟

والخلاصة ان الحاجة أشد ما تدعو الى انتهاج سياسة عملية حقيقية في الشرق الأدنى . فقد خرجت العراق من الدائرة الامبراطورية ، وما اتخذ هنالك من الاجراءات لضمان المواصلات الجوية يمكن اتخاذه في أى مكان آخر ، وسوف تحذو سورية عاجلا أو آجلا حذو العراق . والبلاد العربية في تقدم ، وهذا التقدم يزيد المسألة الفلسطينية تعقدا ، فاذا لم يمكن الاحتفاظ بالانتداب طبق شروطنا المعدلة ، فليس من الحكمة ان نحتفظ به . فلسنا بسياستنا الحاضرة نكسب عرفان اليهود ولكننا نكسب غضب العالم الاسلامى ، والعالم العربى بوجه خاص ؟

التفاؤل والتشاؤم

وهل لهما أسباب تاريخية

بعض غرائب الخرافات عند الغربيين والشرقيين

على الرغم من انتشار الحضارة فى مدن الغرب والشرق وتأصل المدنية والمعرفة فيهما منذ عشرات السنين فلا يزال الكثيرون فى بعض مناحى تفكيرهم واعتقاداتهم مقيدين بأغلال خرافية يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم على نفس النمط الذى كان يعتقد به من عاشوا فى عصور ما قبل التاريخ وبعده .

ما أعجب هذا الانسان . . ! خضعت له عناصر الطبيعة وطأطأت من كبريائها امام جبروته ، ودفع بسفينته الى المحيطات الثائرة تشق عبابها آمنة لا تهاب غدرها ، وبعقله الجبار دانت له العلوم وتفتحت الاسرار ، ومع ذلك ما زال هـذا الانسان على ما بلغ من سيادة ومدنية وحضارة وثقافة يستمسك ببعض الاوهام الخرافية التى استمسك بها اسلافه وقد كانوا اقل منه حضارة وتعلما واستنارة ، وسيظل عبداً لها مهما قرأ وتثقف .

إن الحضارة لن تقضى على الخرافات مطلقا ، وكل ما هنالك ان الناس يستبدلون خرافة بخرافة تحت ضغط المدنية ، ولكن الاساس واحد والاصل لا يتغير .

من العجب ان الغربيين يعتقدون ان الشرق « مهد الخرافة » وان اهله هم اكثر الشعوب تعلقا بالخرافات وإيمانا بها ، ويعزون هذا التعلق وذاك الايمان الى ان هؤلاء لا يزالون فى ضلالات الجهل ومعنى ذلك ان الغرب بما وصل اليه من الحضارة ورقى العلم والادب قد تجرد عن مثل هذه الاوهام ، ولكن الواقع غير ذلك فمازال قوم منهم من ارقى الطبقات يعتقدون احط الخرافات التى لا تقوم على أساس علمى .

ولئن صدق هؤلاء المتقولون وانتحلوا للشرقيين عذرا من الجهل فماذا يقولون عن انفسهم وهم الذين يدعون سيادة الشرق استنارة وحضارة . . . ؟!

قد سألت ادارة احدى كليات المعلمين لمقاطعة « ونكونسن » الامريكية ٤٨٨ طالبا ان يذكروا الخرافات التى يعرفونها والتى سمعوا بها ، فأجمعت ردود الطلبة على خرافات بلغت زهاء ١٢٢٥ . خرافة

وهناك فى الغرب طائفة من الكتب بمختلف اللغات مقصورة على البحث فى الخرافات والمعتقدات المختلفة .

يقول الدكتور كلارك ويسلر وهو من العلماء العاملين فى متحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك : « يظهر أن المدنية وقد درجت وتطورت من مهد الجهالة لا زالت ذات صلة بطريقة التفكير التى تسيطر على العقول البدوية فى الجاهلية الأولى ، فالسحر والخرافات يلعبان الى الآن دورا كبيرا فى الحياة العصرية » .

ويقول أحد علماء النفس من الفرنسيين : « ان الخرافات لم تنج منها أمة فى الزمن الغابر ولا فى العصر الحاضر ، وإن تأصل عادة التفاؤل والتشاؤم أو قلة ظهورها لا علاقة لها بحالة الشعوب ومبلغ رقيها وتقدمها فى الحضارة » .

ووجه الدكتور ا . باودن مدير كلية المعلمين بولاية « مكسيكو » الجديدة بالولايات المتحدة وأحد كبار علماء النفس الامريكيين سؤالا الى جمهرة من الناس ولفيف من المعلمين هذا نصه :

أ إذا كنت ذا تعلم جيد وصحة طيبة تشتغل بجد وضميرك مرتاح ؟ . . أتظن أن هناك قوة تحيد بك عن سوى الصراط وتميل بك قسرا الى تغيير سبيلك المرسوم ؟ . .

فكانت اجابة ٦٦ فى المائة من تلك الجمهرة من الناس « نعم » و ٦٢ فى المائة من المعلمين .

فزهاء ثلثى الامريكيين تقريبا من المعلمين يؤمنون بالتفاؤل والتشاؤم . -

ان للبيئة والاقليم والدين شيئا من التأثير فى الطباع وفى الاجسام ، ولكن التأثير الاعظم للوراثة .

للخرافات الشائعة اصول تتفق وعقلية الانسان الاول ، وسبيلنا الى فهمها ان نعرف احوال المتوحشين الآن وعقائدهم وكيفية تعليلهم للأشياء والحوادث ، لان المشابهة تكاد تكون تامة بين المتوحش الذى يعيش الآن فى أواسط افريقيا واستراليا ، وبين الانسان الاول ، بل يمكننا ان نقول ان المتوحشين هم اسلافنا المعاصرون الآن .

ان معظم الخرافات التى يرجع الى التفاؤل والتشاؤم ليست كلها ناشئة عن أسباب تاريخية وحوادث وقعت فى الازمنة الماضية ، فكم من خرافات عاشت دهورا بلا سبب ، ويرجع هذا الى ماجبل عليه الانسان من سرعة تصديقه كل مايسمعه .

لا تجد أمة تخلو من اعتقادات خرافية راسخة فى عقول اهلها ولكن بعض الخرافات تكاد تكون شائعة بين معظم الشعوب ، ؛

٦٢ ١

وقد جمعنا فى هذا المقال من اوثق المصادر طائفة من الخرافات الكثيرة الشيوع مع تعليل اصلها وفقا لآراء الباحثين .

البوم

اول مايلفت النظر من الخرافات هو البوم ، فعظم الناس يتشاءمون منه ، ويقولون ان رؤيته تجلب المصائب وتجر النوائب ، فهو طائر الشؤم وناعي الخراب ، وان الاوربيين يتشاءمون من صوت البوم ويتطيرون منه ايضا . فالمشهور عنه انه يتخذ الاماكن الخربة المهجورة والمحال المظلمة مأوى له ؛ ولذلك قرنت فى ذهن الانسان صورة الخراب مع البوم ، ومن هنا نشأ التشاؤم ، وهو يقيم فى الاماكن الخربة ليأكل كل مايجده من الفيران والجرذان والحشرات والبعوض وغيرها .

ان البوم غالبها يعشش فى أجواف الاشجار ، ولكن بعضها يعشش بين الصخور وعلى الرمال وفى البيوت الخربة ومن ذلك قول بعضهم :

ياقصر جمع فيك الشؤم واللوم   متى يعشش فى اركانك البوم

ومن انواع البوم الهامة Barn or white owl وهى مشهورة فى قصص العرب ؛ والصدى Little owl وهو الوارد فى قول توبة :

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت   على ودونى جندل وصفائح

لسلمت تسليم البشاشة أو زقا   اليها صدى من جانب القبر صائح

وقد جاء فى كتاب سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان ارق ليلة فاستدعى سميرا له يحدثه ، فكان فيما حدثه به ان قال يا امير المؤمنين « كان بالموصل بومة وبالبصرة بومة ، فخطبت بومة الموصل الى بومة البصرة بنتها ، فقالت بومة البصرة : لا افعل حتى تجعل لى صداقها مائة ضيعة خراب ، فقالت بومة الموصل : لا اقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة فعلت لك ذلك . »

الغراب

ومن الخرافات الشائعة التشاؤم من الغراب ، ويعرف فى الشام بالواغ والقاق ، وفى العراق بالزاغ والغراب .

وكان الرومانيون يقولون : اذا طار الغراب عن يسار انسان انبأ بالشر وجلبه عليه . وانه يسبق المقاتلين الى ساحة الوغى ينتظر وقوع القتلى . واذا طار فوق بيت فلا بد من ان يموت واحد فيه . واذا وقع به اذى انتقم ممن آذاه ولو بعد موته . وكثيرون من الانجليز يعتقدون ان نجاحهم فى الدنيا نتج عن حمايتهم لغراب عشش فى بستانهم ، وانه اذا قتل قصدا فلابد من ان يموت واحد من الاسرة على أثر ذلك . ويقول اهالى اسوج ان الغربان التى تنعق فى المستنقعات ليلا هى ارواح القتلى الذين قتلوا غيلة ، ولذلك حمى الغراب من الاذى فى كثير من البلدان الشمالية .

وكان العرب يتشاءمون من الغراب ، قال ابو الفرج المعافى ابن زكريا فى كتاب الجليس والانيس : « كنا نجلس فى حضرة القاضى ابى الحسن فجئنا على العادة فجلسنا عند بابه واذا اعرابى جالس كانت له حاجة فوقع غراب على نخلة فى الدار فنعب ثم طار ، فقال الاعرابى : ان هذا الغراب يقول ان صاحب هذه الدار يموت بعد سبعة ايام ؛ قال فزجرناه فقام وانصرف ثم خرج الاذن من القاضى الينا ، فدخلنا فوجدناه متغير اللون مغتما ، فقلنا له ما الخبر ؟ قال رأيت البارحة فى النوم شخصا يقول

منازل آل عباد بن زيد   على اهليك والنعم السلام

وقد ضاق صدرى لذلك . فدعونا له وانصرفنا ، فلما كان فى اليوم السابع من ذلك اليوم دفن »

قال القاضى ابو الطيب الطبرى : سمعت هذه الحكاية من لفظ شيخنا ابى الفرج المذكور .

وقال يعقوب بن السكيت : « كان أمية بن ابى الصلت وهو شاعر مسيحى مشهور من فحول شعراء الجاهلية ، فى بعض الايام يشرب ، فجاء غراب فنعب نعبة ، فقال له أمية : بفيك التراب ! ثم نعب أخرى فقال له أمية : بفيك التراب ! ثم أقبل على أصحابه وقال : اتدرون مايقول هذا الغراب ؟ زعم انى اشرب هذه الكأس فأموت ، وأمارة ذلك انه يذهب الى هذا الكوم فيبتلع عظما فيموت . قال فذهب الغراب الى الكوم فابتلع عظما فمات ، ثم شرب أمية الكأس فمات من حينه » ، وهذه الحكاية من اقاصيص العرب .

والتشاؤم من الغراب ربما يرجع الى سواده ، والسواد رمز الحزن حتى ان العرب يسمون السود منهم « أغربة العرب » مثل عنترة وغيره . ويقول محيط المحيط : « ان الحاتم أى الغراب الاسود سمى كذلك لانه يحتم بالفراق فى اعتقاد العيافة » ، وزاد على ذلك قوله : ان الغراب سمى غراب البين « لانه اذا بان أهل الدار للنجعة وقع فى موضع بيوتهم فتشاءموا به وتطيروا منه ، فقالوا فى المثل اشأم من الغراب اذ كان لا ينزل منازلهم الا اذا بانوا (أى بعدوا) عنها . » وربما يرجع ايضا الى علاقة لفظية بين اسمه وبين

الغربة والاغتراب اى النزوح عن الوطن والأهل والأحباب .

وعلل الجاحظ تطير العرب من الغراب فى كتاب الحيوان بقوله : « وأصل التطير انما كان من الطير اذا مر بارحا أو سانحا ، اى عن اليمين او عن اليسار ، ورآه المتطير يتفلى او ينتف ثم صاروا اذا عاينوا الأعور من الناس او البهائم او الأعضب او الأبتر زجروا عند ذلك وتطيروا كما تطيروا من الطير ، فكان زجر الطير هو الاصل اشتقوا منه التطير ، ثم استعملوا ذلك فى كل شيء : والغراب لسواده ان كان اسود ؛ ولاختلاف لونه ان كان ابقع ، ولأنه غريب يقطع اليهم ، ولأنه لا يوجد فى موضع خيامهم يتقمم الا عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم ، ولأنه ليس من شيء من الطير اشد على ذوات الدبر من ابلهم من الغربان ، ولانه حديد البصر قالوا عند خوفهم من عينه الاعور ، كما قالوا غراب لاغترابه وغراب البين لأنه عند بينونتهم يوجد فى دورهم .

وقال ولايمان العرب بباب الطيرة عقدوا الرتائم وعشروا (أى نهقوا عشر مرات) اذا دخلوا القرى تعشير الحمار . والغراب اكثر من جميع ما يطير به فى باب الشؤم . لكنهم لم يكونوا فى ذلك سواء ، بل نبي بعضهم التطير قال سلامة بن جندل :

ومن تعرض للغربان يزجرها   على سلامته لا بد مشؤوم

وقال غيره :

يا أيها المزمع ثم انثنى   لا يثنك الحادى ولا الشاحج
بينا الفتى يسعى ويسعى له   تاح له من أمره ذائج

(يتبع)   ابراهيم تادرس بشاى

فلسفة ديكارت

للاستاذ زكى نجيب محمود

تمهيد

وثبت الفلسفة فى عهد الاغريق وثبة جريئة ، كانت من غير شك شذوذا نابيا لا يستقيم مع طفولة العقل عندئذ ؛ ولا يتفق مع سير الانسانية الوئيد المتدفق . وما ظنك بثلاثة من قادة الفكر وافذاذهم البارزين ، الذين لا تزال فلسفتهم الى هـذا اليوم موضوعا للبحث والدرس ، وأغلب الظن أنها ستظل موضوعا للبحث والدرس الى غد وبعد غد ! ماظنك بهؤلاء الجبابرة ينشرون تلك الفلسفة العالية وذلك الفكر الرفيع فى أوساط من الناس يستحيل على عقولهم الفجة الساذجة أن تتسع لأشباهها ، أو قل لاتدنو من عشر معشارها ! ماظنك بسقراط وأفلاطون وأرسطو ، أولئك العباقرة الفحول ينتجون هذه الفلسفة فى القرن الخامس قبل ميلاد المسيح ؛ أى منذ خمسة وعشرين قرنا !

لم تسغها العقول وقتئذ ، اذ لم تقو على هضمها وتمثيلها ، فكان طبيعيا أن يكون نصيبها الطى والاهمال ، حيث استقرت فى بطون أسفارها قرونا وقرونا ، تنتظر العقل الناضج الرشيد ، تنتظر هذه الانسانية المتلكئة فى سيرها حتى تسمو وترتفع الى حيث هى ؛ وعندئذ تستطيع أن تنشر صفحاتها المطوية وتخرج الى شمس كنزها الدفين

ولكنها وقفت تنتظر حينا طويلا من الدهر حتى سئمت الانتظار ! وحق لها أن تمل وتسأم ، فقد أقبل الناس على عصر بل عصور ، اصطلح المؤرخون على أن يطلقوا عليها اسم العصور الوسطى كانت مظلمة شديدة الظلام ؛ تتخبط فى ديجور من الجهل ، لا يكاد ينفذ فيه قبس واحد من نور ، كأنما أصاب الدهر سنة من النوم أو اغفاءة من السهو ؛ فبدل فى مواضع الازمان ، حيث قدم ما كان يجب أن يؤخر ، وأخر مايجب أن يقدم !! فى تلك العصور سيطرت الكنيسة على العقول الى أقصى حدود السيطرة ، وحرمت على الناس كل ضرب من ضروب التفكير الحر الطليق ، كما حظرت عليهم كل دراسة لاتمت الى الدين بسبب وثيق . اسمع الى البابا غريغورى الأكبر ، رئيس الكنيسة الأعلى ، كيف ينحو باللائمة المرة ، والتقريع اللاذع ، على رجل من رجال الدين ؛ وشى به اليه انه يصرف شطرا من زمنه فى قراءة الآداب القديمة فيقول :

« لقد وصل الى علمنا ما نخجل لذكره ، ذلك انك تدرس الآداب القديمة لاصدقائك فامتلأ قلبنا غضبا منك ، وازدراء بك ، وحسرة عليك . فان لسانا ينشد مديح المسيح ، لايستطيع أن يتغنى بالأدب القديم » .

ولكن هيهات أن تصاب الانسانية بالجمود دون ان تمضى فى سبيلها قدما . لاتتقهقر خطوة الا لكى تتحفز للوثوب الفسيح . فبالرغم من هذا الستار الصفيق الذى أسدلته الكنيسة فى العصور الوسطى دون العقول ، لتحول بينها وبين التفكير فى مظاهر الوجود ، فقد نفذ الى النفوس بصيص من نور : فساورها القلق من هذا الاستسلام المطلق للكنيسة ورجالها . وهنا بدأ الشك يتسرب الى العقيدة الراسخة شيئا فشيئا ، حتى قال « أبيلار » فى جرأة الثائر : « يجب ألا نؤمن بمذهب لانه من عند الله ، بل لأن الدليل العقلى قائم على صحته . فان الشك يدعونا الى البحث ، والبحث يوصلنا الى العلم الصحيح » .

ثارت النفوس اذن ثورة عنيفة هدامة ، وتناولت بالتحطيم تلك الأغلال الثقيلة التى فرضتها عليهم الكنيسة فرضا ؛ والتى كبلت عقولهم حينا طويلا ، فحبست عنها الحياة والنور ! وكانت فورة الغضب حامية جارفة ، اكتسحت أمامها الحدود والسدود ، وقوضت العقائد المتأصلة فى النفوس ، وزلزلت بمعول الشك تلك الآراء التى بلغ يقينها درجة تدنو من التقديس . كانت العصور الوسطى تفرض على الناس التسليم بكل شىء ، فجاءت هذه النهضة الفكرية تحتم الشك فى كل شىء !!

ولم يكن ذلك الشك هداما وكفى ، لم يكن يريد أن يقوض البناء ، ثم يهمل انقاضه مركومة بغير تشييد ، كلا بل أراد أن يهدم باطلا ليقيم صرح الحق قويا متينا . ذلك ماقصدت اليه الفلسفة فى فجر العصر الحديث ، ولكن أين عساها أن تجد اللبنات التى تقيم بها ذاك الحصن الجديد ؟ أتلتمس ذلك فى فلسفة العصور القديمة ، أم تلتمسه فى فلسفة العصور الوسطى ؟ لقد مزجت بينهما جميعا ، وكان لها من هذا المزيج ماتريد . فقد كان القدماء ينشدون الحكمة الفلسفية ، أو ان شئت فسمها حكمة دنيوية ، وكان أهل العصور الوسطى يبحثون عن الحكمة اللاهوتية ، فجاءت الفلسفة الحديثة واعترفت بالمطلبين ، ثم الفت بينهما ، واتخذت منهما غرضا واحدا . فكان لابد لها أن تأخذ بالحياتين الأولى والآخرة فى وقت معا . لابد لها أن تميل بأسرها نحو هذه الحياة الواقعة ، وان تتجه بكليتها نحو الغريب المرقوب على السواء !

فقد كانت الوثنية الأولى تعتد بالعالم الكائن فحسب ، وكانت مسيحية العصور الوسطى تعنى بالعالم الآخر فحسب ، ثم تبع ذلك مرحلة انتقال ظهرت فيها النزعتان جنبا الى جنب : النزعة الوثنية المطبوعة بالطابع الدنيوى ، والنزعة الدينية الزاهدة فى الحياة الدنيا ، ثم جاء العصر الحديث فكان ما أسلفنا من تآلف بين الوجهتين ، وجمع كل رجل فى نفسه كلا الجانبين . وذلك انما يكون بأن تخلق من روحك عالما تعيش فيه عيشة مطمئنة راضية ، لاتقف عند الحياة الدنيا محصورا فى حقائقها المحسة الضيقة ، وكذلك لاتقصر نفسك على الحياة الروحية ، فتمر عليك الحياة ، أو على الأصح تمر أنت على الحياة ، دون أن تشق عبابها وتخترق غمارها . لاتنصرف بالأولى عن الآخرة ، ولا تصدفك الآخرة عن الأولى . لاتعن بالجسد وتهمل الروح ، ولا تعن بالروح وتزدرى الجسد ، بل اجمع بينهما فى وحدة متآخية ، وأنا أظن أن ذلك مايدعو اليه الاسلام فى الحديث النبوى الشريف : اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا . . . مزج بين الروح والمادة ، بين الدين والدنيا .

نعم ينبغى ألا تكون ماديا فتنكر هذه القوة التى يفيض بها الوجود ، كما يجب ألا تكون صوفيا زاهدا ، يزور عن هذه المادة التى تملأ جوانب الكون . ولتكن — أيها الانسان — موضعا يتصافح عنده الطرفان المتخاصمان ، ونقطة يلتقى لديها الشطران النقيضان . . . ألست تريد أن تمجد الطبيعة المادية الى أقصى حدود التمجيد ، مفتونا بدقائقها المتآلفة المتناغمة ؟ ثم ألا تريد أن تكون مع ذلك لاهوتيا يعبد الروح الأعلى الذى يستغرق الوجود بقوته ؟ أو بعبارة جلية موجزة ، ألا تريد أن تسرح فكرك فى الطبيعة ومافوق الطبيعة على السواء ؟ اذن فابحث الانسان ! تناول الانسان بالتحليل والدرس ، فهو جماع الحكمتين ، وملتقى الجانبين . التمس عنده الطبيعة المادية فى أدق ترتيب وأحكم تصوير ، والقوة الروحية فى أروع مظاهرها وأسمى مجاليها . انه الانسان الذى أنزله الله فى الارض ، ليكون لسانا ناطقا بحكمته ، وترجمانا يفصح عن قوته ، ورسولا أمينا يصل مابين الله والعالم المادى ، واذن فقد بات طريق الفلسفة واضحا معبدا ... فاذا أرادت الحق ، فلتبدأ سيرها من النفس ، نفس الانسان ، ثم تسلك سبيلها ، راسخة القدم موطدة اليقين ، حتى يصل بها البحث الى معرفة الله والعالم المادى . . . لقد انعكس الوضع ، وانقلب المنطق نتيجة لمقدمه ، فقد كانت الفلسفة فى بادىء أمرها . تفتح سيرها ببحث

القوة والمادة ، أعني الله والطبيعة ، لكي ينتهي الى الانسان : أما الآن فهي تبدأ جهادها بدراسة النفس الانسانية ثم تنتقل منها الى العالم الخارجي .

بذلك الشك حطمت الفلسفة الحديثة كل ما نزل عند القدماء منزلة اليقين ، وعلى هذا الاساس الجديد من توحيد المادة والروح في الانسان ، واختصاصه بالبحث أولا ، ثم الانتقال منه الى العالم الخارجي ، قام البناء الجديد .

وكان أول من وطد ذلك الأساس وشيد عليه البناء فيلسوفنا رنيه ديكارت

فلسفته

١ ـ العقل يثبت وجود نفسه

ان هذا الرأس الصغير الذي تحمله فوق منكبيك ليفيض بالآراء ويزدحم بالعقائد ، وتعمره شتى المعلومات ، التي تقاطرت الى ذهنك من هنا وهناك . فهذه الطائفة من المعارف قد رأيتها بعينيك وتلك سمعتها بأذنيك ؛ وثالثة لم تسلك الى ذهنك طريق الحواس ، ولا أوحى اليك بها انسان آخر ، انما نبعت من نفسك الباطنية ، فأنت توقن ولا ريب أن النار محرقة لانك لمستها بيديك ، ولا يخامرك شك في أن رجلا اسمه نابليون كان يعيش في أوائل القرن التاسع عشر ، لأن اجماع الرواة يؤكد ذلك ، ولا تتردد في أن تحكم بأنك مادمت موجودا في حجرتك ، يستحيل أن تكون أنت في نفس الوقت جالساً في المقهى ، لان عقلك يعلم ذلك بالضرورة . . . وهكذا تستطيع أن تستعرض معلوماتك جميعاً ، فتراها قد سلكت اليك هذا الطريق أو ذاك ، فهي إما نفذت اليك من الخارج بواسطة الحواس ، أو لدنية نبعت من ضرورة عقلية ، ومع ذلك فكثرتها الغالبة تقع عندك موقع اليقين الذي لا يحتمل الشك والجدل .

ولكن ألا يجدر بك أن تثوب الى نفسك فتسرع معها الحساب على هذا الاطمئنان السريع والتصديق العاجل بصحة هذه الحقائق مع أنها قد تكون خطأ كلها ؟ أليست هذه الحواس التي تركن الى اماناتها ، خادعة في كثير من الاحيان ، فتوهمك مثلا أن القمر لاتعدو مساحته القرص الصغير ، وهو ليس كذلك ؟ وهذا العقل الذي تعتمد على أحكامه ، ألا يقدم لك صوراً وافكاراً بعضها وهم خاطيء ؟ هذا صحيح لاريب فيه . فافرض منذ الآن أن تطمئن الى ما يقدمانه اليك من الحقائق ، تقبلها بالشك ولا تجزم بصحتها ، وإذن فهذه معلوماتك جميعا قد هدمت من أساسها . . . فما يدريك ان هذه الاجسام المادية موجودة حقيقة ؟ وما يدريك ان الله موجود ؟ ثم ما يدريك انك انت نفسك موجود ؟ سنقول العقل او الحواس ! كلا ، لا تفعل . فقد تبين لك انهما كثيراً ما يكونان مبعث الخطأ والزلل ، ولا يحتمان الحق واليقين . إذن فلا تتردد في ان تنزع من نفسك جميع العقائد والآراء والافكار ، وافرض ان كل ما يصادفك باطل ليس له وجود ، ولا تصدق ما تمدك به الذاكرة الكاذبة والحواس الخادعة ، وادّع ان الجسم والصورة والامتداد والحركة والمكان كلها من خلق الخيال . فما الذي يبقى من الحق بعد ؟ لاشيء ! اللهم الا حقيقة واحدة ، ستصمد لهذا الشك الجارف ، وتظل ثابتة لاتميل أمام عاصفة الافكار والجحود ، لا بل تزداد يقينا كلما أمعنت في الشك والانكار ، تلك هي أن هناك شخصا يشك ! . . . أرفض الحقائق ، وشك في صحتها ما وسعك الرفض والشك ، ولكنك لن تستطيع أن تشك في أنك تشك .

نعم مهما شككت فلست أنكر أني أشك ، ولما كان الشك ضربا من ضروب التفكير ، اذن فلا شك أني أفكر . وبديهي أني لو لم أكن موجودا لما فكرت ، واذن فانا موجود وليس في وجودي شك

« أنا أفكر فأنا إذن كائن » تلك هي القاعدة الاساسية التي اتخذها ديكارت أساسا قديما أقام عليه فلسفته بأسرها . ويلاحظ ان أثبات الوجود هنا لاينصب الا على العنصر المفكر من الانسان ولايتعداه الى الجسم ، ذلك ، لأنه أثبت وجوده بناء على وجود تفكيره ، أي عقله ، ولم يقم الدليل بعد على وجود الجسم . ولكن مالنا وللجسم الآن ؟ هانحن اولا قد حصلنا على العقل وايقنا بوجوده ، وهو أساس المعلومات جميعا ، وحسبنا ذلك لنهتدي عن طريقه الى معرفة الحقائق التي ننشد ، وهكذا بدأ ديكارت بالشك الى حيث انتهى الى اليقين . وقد قال قائل : « كلما فكرت ازددت شكا » فعارضه ديكارت بقوله : « بل كلما شككت ازددت تفكيرا ، وازددت بالتالي يقينا بوجودي » .

حقا لقد انتزع ديكارت من غمار الانقاض التي ركمها الانكار والشك ، يقينا لايأتيه الباطل ، ذلك انه هو موجود لاريب في وجوده . ثم يقرر ان كل حقيقة يستطاع اثباتها بمثل هذا اليقين القاطع ، لايجوز له ان يتردد في اعتبارها حقا لايقبل الشك

ثم يستطرد قائلا ان الانسان يخرج الى هذا العالم وفي فطرته طائفة من هذه الحقائق اليقينية الثابتة التي لاتحتمل الانكار او الشك ،

وهي لا تأتي عن طريق التحصيل ، كالحقائق الرياضية مثل ٢ و ٢ تساوي ٤ ، فهذه حقيقة مؤكدة ، وليست تجيئك عن طريق الحواس ، انما هي مفطورة فيك منذ الولادة ، وقل مثل ذلك في كل البديهيات العقلية كأن تقول ان الجزء أصغر من الكل وما الى ذلك مما هو معروف معلوم .

٢ — اثبات وجود الله

يتضح مما سبق ان ديكارت بعد ان انكر كل شيء ، عاد فأثبت وجود نفسه ، ثم أتبع ذلك بالاعتراف بوجود بعض الحقائق الفطرية الثابتة ، كالتي قدمنا لها مثلا .... فنحن اذا زعمت ان شيئا لايستخرج من لاشيء ، فانما نقرر حقيقة لاتقل يقينا عن حقيقة وجود العقل المفكر ، لانها واحدة من تلك البداهة التي لاتحتمل الرفض والانكار . اذ لابد أن يكون الفرع مستغرقا في أصله ، والنتيجة في مقدمتها . ومن ذا الذي يستطيع أن يصدق أن الجبل الشامخ قد خرج من ذرة حقيرة ، ولن البحر الخضم قد اشتق من قطرة صغيرة ؟! يستحيل أن يكون ذلك لأن الذرة لاتلد الا ذرية أصغر منها ، بناء على البديهية التي اسلفنا ذكرها وهي ان شيئا لاينشأ من لاشيء .

اذكر هذه البديهية جيدا ، ثم استعرض مايحويه رأسك من صنوف المعارف ، قلب النظر فيما يدور بخلدك من افكار ، فماذا ترى ؟ ترى ان لكل فكرة اصلا أعم منها وأشمل ، وهذا طبيعي لأن الصورة لايمكن أن توضح أكثر من اصلها ، أو قل تجيء على مثاله على أكثر تقدير ، كذلك ترى افكارا فطرية نشأت معك منذ ولدت ولم تستمدها من العالم الخارجي . ولكنك في هذا البحث الذي تستعرض به افكارك وتردها الى أصولها ، ستصادف بينها فكرة ممتازة ، هي فكرة الكائن اللانهائي ، أي انك تتصور كائنا لانهاية له ولا حدود ، فمن أين جاءتك هذه الصورة ؟ يستحيل أن تكون قد سبقت من فطرتك ، لانها أوسع منك ، فأنت على نقيضها كائن محدود ، وبديهي — كما أسلفنا لك القول — ألا تجيء الصورة أشمل من أصلها ، ومحال أن يتفرع شيء من لاشيء ، وبالتالي محال أن يتفرع الكائن اللانهائي المطلق من كائن نهائي محدود

تستطيع أن تعترض على هذا القول بأن تزعم أنك قد تستخرج من الواحد الصحيح عدداً لانهائيا بالطرح المستمر ، فتسير في العد سلبا ، ناقص واحد ، ناقص اثنان ، ناقص ثلاثه ..... ناقص لانهاية . وبذلك تكون قد حصلت على عدد غير محدود من رقم محدود .

ولكنك تستطيع أن تهدم هذا الاعتراض ، لأنها عندئذ تكون سلبية ، في حين أني أتصور فيما أتصور لانهاية ايجابية ، كالمكان اللانهائي والزمان اللانهائي ، مثلا .

أتستطيع اذن أن تحدثني من أين جاءتك هذه الفكرة ، بعد أن وثقت معي انها لا تتفرع عن فطرتك ؟ لا أحسبك مترددا في أن توافق ديكارت فيما ذهب اليه من أن هذه الفكرة اللانهائية الكاملة لاتمكن أن تنبعث عن الطبيعة البشرية الناقصة ، بل لابد لها من أصل يوازيها كمالا وعظمة ، لضرورة التكافؤ بين العلة والمعلول . ومن هنا أصبح حتما علينا أن نسلم بوجود اله جامع لكل صفات الكمال ، وهو الذي خلق في الانسان هذه الفكرة وألهمه اياها ، واذن فالله موجود وليس في وجوده شك

٣ - اثبات وجود العالم الخارجي

لقد رأيت فيما سبق كيف حمل ديكارت معول الشك ، وقوض به كل فكرة ورأي ، وأنكر الوجود بأسره ، بل وأنكر نفسه ، خشية أن يكون مخدوعا متورطا في خطأ أوحى به اليه فقابله بالتسليم ، ثم سار في طريق المنطق السليم حيث انتهى به الى اثبات وجوده ، ثم رتب على وجود نفسه وجود الله ، وها هو ذا يستنتج من وجود الله وجود العالم الخارجي ... أليس الله هو ذلك الكائن اللانهائي ، المطلق القوة ، الذي لاتحده الحدود ؟ أليس هو علة وجود نفسه وهو خالق الكون : اذن فلاريب في أنه كائن كامل لاتشوبه شائبة من نقص ، لأنه مادام قادرا ، مطلقا في قدرته ، فمن الطبيعي أن يكون عمله مثلا أعلى للكمال ، لان ذلك في حدود استطاعته ، وما دام حائزا ضروب الكمالات المختلفة ، فهو اذن متصف بالصدق الذي لايخالطه ذرة من خداع ، ومعنى ذلك أنه يستحيل على الله أن يكون سببا في تضليل الانسان وخداعه . فقد منحنا عقلا مفكرا ، وضمن لنا أن نصل به الى معرفة الحق اذا أحسن استعماله ، فلا نعتبر حقا الا ما يحكم العقل بصحته حكما يقينيا قاطعا لا يقبل الشك .

واذن فقد اصبح من اليسير أن نقيم الدليل على وجود العالم الخارجي ، فقد كنا شككنا في وجوده ، لجواز أن تكون عقولنا خادعة تصور لنا الباطل حقا ، فأما وقد أقمنا الدليل على وجود الله ، وأثبتنا له جميع صفات الكمال ، ومن بينها الصدق ، فيجب ألا يعتر بنا الشك في وجود الكائنات الخارجية ، اذ لو كانت وهمية ، لترتب

على ذلك أن يكون الله خادعا ، لأنه هو الذى أمدنا بتلك العقول الخادعة ، وهو الذى يصدر لنا جميع ما ندرك . واذن فالعالم الخارجى موجود وليس فى وجوده شك .

ولنوجز ما أسلفنا فى حلقات منطقية متتابعة . نقول : أنا أفكر ، فأنا موجود ، وليس فى وجودى شك . وما دمت أشتمل على فكرة الكائن اللانهائى . وهذه لا يمكن أن تشتق من طبيعتى المحدودة ، فلا بد أن تكون ناشئة عن سبب خارجى يتكافأ معها ، وهو الله . وما دام الله حائزا لجميع ضروب الكمال ، فيستحيل عليه أن يضللنا ، ولا بد أن يكون ما وهبنا من عقل اداة صالحة ، وان ما ندركه حق واقع . واذن فهذا العالم الخارجى الذى تصوره لنا عقولنا موجود لاريب فى وجوده : وبعبارة أوجز ، نقول ان ديكارت بدأ باثبات أنيته ، ثم رتب عليها وجود الله ، ثم استنتج من وجود الله وجود العالم الخارجى

٤ — *ولكن ما هو ذلك العالم الخارجى ؟ ومم يتكون ؟*

يحدثنا ديكارت أننا نستطيع أن نرد مظاهره الى أصلين ؛ أو فكرتين وهما الامتداد والفكر ، أو بعبارة ثانية القوة والمادة . فهما شطران منفصلان لا يعتمد الواحد منهما على الآخر بأية حال من الاحوال ، وهذا هو مبدأ ثنائية الوجود ؛ أى شطر الكون الى عنصرين متميزين ، أما أحدهما وهو المادة وصفته المميزة هى الامتداد طولا وعرضا وعمقا ، اذ لا نستطيع أن نتصور مادة بغير امتداد . وأما الثانى وهو العقل ، فخاصيته المميزة هى الفكر ، فهو يفكر تفكيرا متصلا لا ينقطع لحظة ، كما ينبعث الضوء عن الشمس والدفء عن الحرارة . أى أنه فى وعى مستمر دائم ؛ حتى ان ديكارت لم يستطع أن يتصور الجنين وهو فى أحشاء أمه بغير تفكير ! ويظهر من هذا أن خلافا جوهريا يفصل بين شطرى الوجود : المادة والروح ، وبالتالى بين جسم الانسان وعقله ؛ فهما نقيضان يختلفان فى الجوهر والعرض على السواء . وان كان ذلك كذلك ، فكيف أمكن اتصالهما ، وكيف يؤثر أحدهما فى الآخر ؟ هنا لا يتردد ديكارت فى أن ينكر العلاقة بين عنصرين هما على أشد ما يكون التباين بينهما ، ويعتقد أنها ارادة الله وحدها التى تشرف عليهما ، وتدبر حركاتهما : فأما الجسم فخاضع لما تخضع له كل الاجرام المادية الأخرى من قوانين ، وليس للعقل من القوة ما يستطيع بها أن يدفع الجسم الى الحركة : اللهم الا اذا وافقت ارادة الشخص ارادة الكائن الأعلى .

اذن فالوجود عند ديكارت ينحل الى عنصرين أساسيين ، أو مادتين أوليتين ، فكل أجزاء المادة ، كائنة ما كانت صورها ، مركبة من مادة متجانسة . وكل ما يحتوى عليه الوجود من قوة ، أو بعبارة أخرى من روح ، أو بعبارة ثالثة من عقل ، فهو مركب من مادة متجانسة كذلك . ويشرف على العنصرين أو المادتين القادر الحكيم . ومما يجدر ذكره أن سبينوزا ؛ وقد جاء على أثر ديكارت ، لم يطمئن الى هذا التقسيم الذى لا مبرر له ، وصهر الجميع فى وحدة متجانسة لا انفصال فيها ولا اختلاف . وقد عجب من ديكارت ، وتساءل : لماذا تقصر القوانين الآلية على الجسم وحده دون الروح ؟ أما هو فلا يحجم عن أن يمد من نطاقها حتى تشمل العناصر الثلاثة : الله والعقل والمادة ، استغفر الله ؛ بل ليس ثمت عند سبينوزا أمن تثليث للعناصر ، انما الجميع عنصر واحد متجانس ، يسير وفق قانون شامل لا يتبدل ولا يفنى

زكى نجيب محمود

جواب رسالة حزينــــة (١)

للاستاذ مصطفى كامل

أترى فى الناس أحداً ينفر من انسان كان مريضاً بداء خبيث ثم برئ منه ؟ وإن نفراً يقره الناس على هذا الخوف السخيف أم يستحقونه ؟ ثم ما الفرق بين المرض الجسمانى وبين السفطة الخلقية وكلاهما مرض قد يبرأ منه المريض ؟

ثم ما ذنبه ؟ أيمكن أن انساناً يطلب المرض بمحض اختياره أم ترى أن المريض ضحية بائسة لا تتمنى على الله شيئاً فى الدنيا إلا البرء منه ؟ ولو أن إنساناً ترك لماه وهواه لما طلب إلا أن يكون صحيح الجسم سليم النفس

ثم ما فضل السليم عن المريض أو الذكى على الغبى ؟ وما فضل الكريم على اللئيم ؟

هل يمكن أن يكون أحد من الناس من عمل نفسه ، أم هو من عمل الأسلاف والبيئة والأجواء والتعليم والثروة وظروف الحياة ؟ أليس الفرد نتاج ملايين من العوامل المتفاعلة التى تكوننا وتجعلنا فى الصورة التى نحن عليها ؟

أترى أحداً استطاع أن يكون ملكا ولم يرض ، أو نبيا ولم يفعل ؟ أو ثريا ولم يقبل ؟ فوالله لو أن أمور الدنيا فى مكنة الناس لكانوا ملائكة جميعاً

طبعت على ما فىّ ، غير مخـــير
هواى ، ولو خُيرت كنت المهذبا

كلما عرضت لى فى أمور الحياة مثل حال هذه الفتاة ، خطرت ببالى جملة رائعـــة ما أزال أذكرها ، لبول بورجيه ، فى كتابه « التلميذ » قال : « أيمكن أن نحترم لاعب الروليت الذى يلعب عشر مرات متوالية على الأحمر أو الأسود ، ألا إنما الفضيلة والرذيلة هما الأحمر والأسود : والفتاة الشريفة ، واللاعب المحظوظ سواء فى المواهب »

ألا إنما الفاضل من الناس فاضل بسبب الظروف التى عصمته ، والمجرم من الناس مجرم بسبب الظروف التى أضعفته .

ولو أن المجرم وضع مكان العالم الورع الشريف وله نفس العوامل فى الماضى ، ونفس الحوادث فى البيئة وأوضاع الحياة ، لما كان إلا الرجل الفاضل الورع الشريف . ولو أن امرأة شريفة عرضت لها نفس عوامل المرأة التى سقطت لما ظلت امرأة شريفة ، وإذن فما فضل إنسان على انسان ؟ ألا أننا كلنا من عمل ما لا نملك فى نفوسنا مما قد يرجع الى ما قبل وجودنا

لقد كنت فى إحدى القهوات مرة ، فلمحت مرابيا معروفا حالس الناس وأخو بيته مستية فى جيبه ، وهو مع ذلك رجل كان يجب أن يكون له من تربيته حصانة فلا يتدنى . ومن ورثه حائل فلا يسفل ، ولو لم يكن من ظروف هذا الرجل ما يحميه من الاسفاف لما كان إلا من ضربدى القانون .

وإذن فما ذنب مريض قد مرض رغم أنفه ، ثم بعد ذلك قد برئ ، ومع ذلك فما معنى أن يجعل الماضى جزءا من الحاضر ، وان يجعل من لوثة هذا الماضى رجسا للحاضر ودنسا للمستقبل ؛

لقد مات هذا الماضى ولم تعد له من علامات الحياة وأسبابه الا ذكريات من عمل الرءوس وخيالات النفوس

ليمض هذا الصديق فى حبه ، فليس فى الدنيا كافة مايعدل القلب المفعم بالحب بهجة ولذة وسعادة ، وليمض قلبه بهذا الحب قبل أن تسكن نأمته ، وليملأ بيته وعشه الجميل قبل ان يوحش قبره ، وليعم حياته بالامل والحب والجمال قبل أن تجف الحياة ؟

(١) انظر العدد الثالث والعشرين من ١١

الشافعى واضع علم اصول الفقه

للاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق

أستاذ الفلسفة الاسلامية بكلية الآداب

— ٣ —

وكان الشافعى فى اول أمره يطلب الشعر وايام الناس والأدب . قال الشافعى : « وخرجت من مكة ، يعنى بعد ان بلغ قال : فلزمت هذيلا بالبادية أتعلم كلامها وآخذ اللغة وكانت أفصح العرب(١) » ابن حجر ص ٥٠

ثم توجه الشافعى الى الفقه يدرسه وقد اختلفت الروايات فى سبب توجهه الى الفقه وتكاد ترجع كلها الى نصح الناصحين له ان يصرف جهده وذكاءه فى علم تكمل به سيادته من غير خطر على دينه ولم يكن يرشد الا الفقه سبيلا الى ذلك

ويعبر عن روح الوقت من تلك الناحية :

ما رواه الخطيب البغدادى فى تاريخه عن أبى يوسف قال : قال ابو حنيفة : لما أردت طلب العلم جعلت أتخير العلوم وأسأل عن عواقبها فقيل لى : تعلم القرآن ، فقلت : اذا تعلمت القرآن وحفظته فما يكون آخره ؟ قالوا : تجلس فى المسجد ويقرأ عليك الصبيان والاحداث ثم لا تلبث أن يخرج فيهم من هو أحفظ منك أو يساويك فى الحفظ فتذهب رياستك ، قلت : فان سمعت الحديث وكتبته حتى لم يكن فى الدنيا احفظ منى ؟ قالوا : اذا كبرت وضعفت حدثت واجتمع عليك الأحداث والصبيان ثم لم تأمن ان تغلط فيرموك بالكذب فيصير عارا عليك فى عقبك ، فقلت : لا حاجة لى فى هذا ، ثم قلت : أتعلم النحو ، فقلت : اذا تعلمت النحو والعربية ما يكون آخر أمرى ؟ قالوا تقعد معلما وأكثر رزقك ديناران الى الثلاثة ، قلت وهذا لا عاقبة له ؛ قلت : فان نظرت فى الشعر فلم يكن أحد أشعر منى ، ما يكون من أمرى ؟ قالوا : تمدح هذا فيهب لك ويحملك على دابة أو يخلع عليك خلعة ، وأن حرمك هجوته فصرت تقذف المحصنات ، فقلت : لا حاجة لى فى هذا . قلت : فأن نظرت فى الكلام فما يكون آخره ؟ قالوا : لا يسلم من نظر فى الكلام من شنعات الكلام فيرمى بالزندقة ، فأما أن يؤخذ فيقتل ، وأما أن يسلم فيكون مذموما ملوما ؛ قلت : فأن تعلمت الفقه ؟ قالوا : تسأل وتفتى الناس وتطلب للقضاء وإن كنت شابا ، قلت : ليس فى العلوم شىء انفع من هذا ، فلزمت الفقه وتعلمته . — تبييض الصحيفة — ص ١١ و ١٢

وتفقه الشافعى أول أمره على مسلم بن خالد الزنجى ، مفتى مكة سنة ١٨٠ هـ ٧٩٦ م مولى بنى مخزوم ، وقد اختلف النقاد فى

---

(١) ويقول الرازى : اعلم ان المتقدمين من أئمة اللغة والمتأخرين منهم اعترفوا للشافعى بالتقدم فى علم اللغة واقروا له بكمال الفصاحة . نقل عن الاصمعى انه قال : قرأت ديوان الهذليين على شاب من شباب قريش يقال له : (محمد ابن ادريس الشافعى :)

وحكى ابن دريد عن ابى حاتم السجستانى عن الاصمعى انه قال : قرأت شعر الشنفرى على محمد بن أدريس ثم نقل الرازى شهادة المازنى والجاحظ وثعلب وابى منصور الازهرى وابى سليمان الخطابى ونفطويه الزمخشرى للشافعى وقال بعد ان نقل كلام الزمخشرى فى الكشاف الذى يرجح به رأى الشافعى فى تفسير بعض الآيات : مانصه :

هذا كلام صاحب الكشاف نقله بلفظه وهو صريح بان نظر الشافعى (ض) فى هذه الآية أتم ووقوفه على العربية أكمل مع ان صاحب الكشاف كان على مذهب ابى حنيفة ، فكانت شهادته للشافعى بالتقدم فى هذا العلم دليلا على ان الامر كذلك . الرازى ، ص ١٥٣ الى ١٥٦

وفى معجم الادباء لياقوت نقلا عن الآبرى ، قال : وسمعت ابن هشام يقول : الشافعى كلامه لغة يحتج به . وحدثت عن محمد بن الحسن الزعفرانى قال : كان قوم من أهل العربية يختلفون الى مجلس الشافعى معنا ويجلسون ناحية ، فقال فقلت لرجل من رؤسائهم : انكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا ؟ قالوا : نسمع لغة الشافعى . . . .

وحدث ابن خزيمة قال : سمعت يونس بن عبد الاعلى يقول : كان الشافعى اذا أخذ فى العربية قلت هو بهذا أعلم ، واذا تكلم فى الشعر وأنشاده قلت : هو بهذا أعلم ، واذا تكلم فى الفقه قلت هو بهذا أعلم . ج ٦ ص ٢٧٩ و ٣٨٠

وذكر البغدادى فى تاريخ بغداد عن أبى الوليد بن أبى الجارود أنه كان يقول : ما رأيت أحداً الا وكتبه أكثر من مشاهدته الا الشافعى ، فان لسانه كان أكثر من كتابه . ج ٢ ص ٦٧

وقد رووا للشافعى أشعاراً يكفى فى الحكم عليها أن يذكر ما ذكره الرازى من أن الشافعى كان يقول :

لا يكاد يجود شعر القرشيين لان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » ولا يكاد يجود خط القرشى لان النبى صلى الله عليه وسلم ما كان يكتب بدليل قوله تعالى : « ولا تخطه بيمينك » ص ١٩٥

على أنه يقع للشافعى فيما يروى له من الشعر ما يكون جيداً كقوله :

تعاظمنى ذنبى فلما قرنته — بعفوك ربى كان عفوك أعظما

وقوله :

ما طار طير وارتفع — الا كما طار وقع

وقوله :

لا تأس فى الدنيا على فائت — وعندك الاسلام والعافية

وقوله :

وأحق خلق الله بالهم امرؤ — ذو همة يبلى بعيش ضيق

وقوله :

أكل العقاب بقوة جيف الفلا — ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

أمر مسلم فقيل: ثقة وقيل ضعيف وقيل: ليس بشيء، وقال البخاري: منكر الحديث

ونقل: إنه كان يرى القدر ولعل هذا هو سر تضعيفه

ويقولون: أن مسلم بن خالد الزنجي قال للشافعي: أفت يا أبا عبدالله فقد آن لك أن تفتي، وكان الشافعي حينئذ دون عشرين سنة

وأخذ الشافعي في مكة عن: سفيان بن عيينة الهلالي المتوفى سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ م أحد الثقاة الأعلام، وروى عن بعضهم: أنه اختلط سنة ١٩٧ هـ ٨١٢ م

ثم رحل الشافعي الى المدينة ليطلب العلم عن: مالك بن انس. فقرأ الموطأ على مالك بعد أن حفظه عن ظهر قلب في مدة يسيرة وأقام بالمدينة الى أن توفى: مالك، سنة ١٧٩ هـ ٧٩٥ م

وخبر رحلته الى مالك مروي على وجوه مختلفة تتفق كلها في أن الشافعي كان فقيرا لا يملك نفقة السفر على فرط شوقه الى الأخذ عن أمام دار الهجرة

ثم يسر الله أسباب الرحلة، وأحسن مالك لقاءه لما تفرس من نجابته وفضله

وتلقى الشافعي في المدينة عن غير مالك كابراهيم بن أبي يحيى الذي يقول الرازي: اتفقوا على انه كان معتزليا

وخرج الشافعي الى اليمن بعد موت مالك

قال الشافعي: لما مات مالك، كنت فقيرا، فاتفق ان والي اليمن قدم المدينة فكلمه بعض القرشيين في ان أصحبه فذهبت معه واستعملني في أعمال كثيرة وحمدت فيها والناس أثنوا علي. الرازي ص ١٨

وكادت الولاية تشغل الشافعي عن العلم حتى نبهه بعض شيوخه فانتبه

قال الشافعي: كنت على عمل باليمن واجتهدت في الخير والبعد عن الشر، ثم قدمت الى المدينة فلقيت ابن ابي يحيى وكنت أجالسه، فقال لي: تجالسونا وتسمعون منا وإذا ظهر لأحدكم شيء دخل فيه

ثم لقيت ابن عيينة فقال: قد بلغنا ولايتك فما أحسن ما انتشر عنك، وأديت كل الذي لله عليك ولا تعد

قال الشافعي رضي الله عنه: موعظة ابن عيينة أبلغ مما صنع ابن ابي يحيى ـ الرازي ص ٢٠

وقد أخذ الشافعي عن جماعة من أهل اليمن منهم مطرف بن مازن الصنعاني المتوفى سنة ١٩١ هـ ـ ٨٠٦ م

وقد كذبه يحيى بن معين، وقال النسائي ليس بثقة: وقال غيره كان قاضي صنعاء وكان رجلا صالحا وعمرو بن أبي سلمة المتوفى سنة ٢١٤ هـ ـ ٨٢٩ م وهو صاحب الأوزاعي

ويقولون ان الشافعي جمع كتب الفراسة من اليمن واشتغل بها حتى مهر فيها

ارتفع شأن الشافعي في اليمن (ثم أن الحساد سعوا الى هارون الرشيد. وكان باليمن واحد من قواده فكتب أليه يخوفه من العلويين وذكر في كتابه ان معهم رجلا يقال له: محمد بن ادريس الشافعي يعمل بلسانه ما لا يقدر المقاتل عليه بسيف. فأن أردت ان تبقي الحجاز عليك فاحملهم اليك

فبعث الرشيد الى اليمن وحملوا الشافعي مع العلوية الى العراق) الرازي ص ١٨

وتلك هي المحنة التي اقتضت دخول الشافعي العراق، وفي حديث هذه المحنة اختلاف كبير وقد يكون اسلم هذه الروايات من الحشو وأدناها الى الاعتدال والقصد: ما رواه ابن عبد البر في كتاب الانتقاء، قال:

حمل الشافعي من الحجاز مع قوم من العلوية تسعة وهو العاشر الى بغداد وكان الرشيد بالرقة: فحملوا من بغداد اليه وأدخلوا عليه ومعه قاضيه، محمد بن الحسن الشيباني، وكان صديقا للشافعي وأحد الذين جالسوه في العلم وأخذوا عنه (١) فلما بلغه أن الشافعي في القوم الذين أخذوا من قريش بالحجاز واتهموا بالطعن على الرشيد والسعي عليه، اغتم لذلك غما شديدا: وراعى وقت دخولهم على الرشيد قال: فلما أدخلوا على الرشيد سألهم وأمر بضرب أعناقهم: فضربت أعناقهم الى أن بقي حدث علوي من أهل المدينة. وأنا، فقال للعلوي: أأنت الخارج علينا والزاعم أني لا أصلح للخلافة؟ فقال العلوي: أن أدعي ذلك أو أقوله قال: فأمر بضرب عنقه، فقال العلوي: أن كان لابد من قتلي فأنظرني أكتب الى أمي بالمدينة فهي عجوز لم تعلم بخبري. فأمر بقتله فقتل

ثم قدمت و، محمد بن الحسن، جالس معه فقال لي مثل ما قال للفتى فقلت: يا أمير المؤمنين لست بطالبي ولا علوي وأنما أدخلت في القوم بغيا علي: وأنما أنا رجل من بني المطلب بن عبد مناف بن قصي ولي مع ذلك حظ من العلم والفقه والقاضي يعرف ذلك. وأنا محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان ابن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن

(١) لعل في العبارة تحريفا فان المعروف ان الشافعي هو الذي اخذ عن محمد

المطلب بن عبد مناف . فقال لي : أنت محمد بن ادريس ؟ فقلت : نعم يا أمير المؤمنين قال : ما ذكرك لي محمد بن الحسن ثم عطف على محمد بن الحسن فقال : يا محمد ما يقول هذا هو كما تقوله ؟ قال : بلى وله من العلم محل كبير ، وليس الذي رفع عليه من شأنه ، قال : فخذه اليك حتى أنظر في أمره ، فأخذني محمد وكان سبب خلاصي لما أراد الله عز وجل منه ص — ٩٧ ، ٩٨

ويقول ابن حجر في كتاب « توالي التأسيس » ص — ٧١ —

(وأما الرحلة المنسوبة الى الشافعي المروية من طريق عبد الله بن محمد البلوي فقد أخرجها « الآبري » و « البيهقي » وغيرهما مطولة ومختصرة وساقها « الفخر الرازي » في مناقب الشافعي بغير اسناد معتمداً عليها وهي مكذوبة وغالب ما فيها موضوع، وبعضها ملفق من روايات ملفقة ، وأوضح ما فيها من الكذب ، قوله فيها : أن أبا يوسف ومحمد بن الحسن حرضا الرشيد على قتل الشافعي . وهذا باطل من وجهين ، أحدهما — أن أبا يوسف لما دخل الشافعي بغداد كان مات ولم يجتمع به الشافعي

والثاني — أنهما كانا أتقى لله من أن يسعيا في قتل رجل مسلم لا سيما وقد اشتهر بالعلم ، وليس له اليهما ذنب الا الحسد على ما آتاه الله من العلم ، هذا ما لا يظن بهما وان منصبهما وجلالتهما ، وما اشتهر من دينهما ليصد عن ذلك

والذي تحرر لنا بالطرق الصحيحة : أن قدوم الشافعي بغداد أول ما قدم كان سنة ١٨٤ هـ — ٨٠٠ م . وكان أبو يوسف قد مات قبل ذلك بسنتين ، وأنه لقي محمد بن الحسن في تلك القدمة ، وكان يعرفه قبل ذلك من الحجاز وأخذ عنه ولازمه

وممن أخذ عنهم الشافعي في العراق « وكيع بن الجراح بن مليح الرؤاسي أبو سفيان الكوفي الحافظ ، المتوفى سنة ١٩٠ هـ ٨٠٥ — ٨٠٦ م و « حماد بن أسامة الهاشمي الكوفي ، المتوفى سنة ٢١٠ هـ — ٨٢٥ م» و « عبد الوهاب بن عبد المجيد البصري ، المتوفى سنة ١٩٤ هـ ٨٠٩ — ٨١٠ م . وقد قرأ الشافعي كتب « محمد بن الحسن الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ ٨٠٤ — ٨٠٥ م ولازمه وأخذ عنه .

ولم نر فيما بين أيدينا من تراجم الشافعي ذكر مدة مقامه في بغداد في هذه القدمة .

وقدم الشافعي بعد ذلك الى بغداد سنة ١٩٥ هـ ٨١٠ — ٨١١ م فأقام سنتين واشتهرت جلالة الشافعي رحمه الله في العراق وسار ذكره في الآفاق وأذعن بفضله الموافقون والمخالفون ....

وعكف عليه للاستفادة منه الصغار والكبار من الأئمة والاحبار من أهل الحديث والفقه وغيرهما . ورجع كثيرون منهم عن مذاهب كانوا عليها الى مذهبه وتمسكوا بطريقته كأبي ثور وخلائق لا يحصون ...... وصنف في العراق كتابه القديم ويسمى « كتاب الحجة » ويرويه عنه أربعة من جلة أصحابه وهم : أحمد بن حنبل ، وأبو ثور ، والزعفراني ، والكرابيسي)

« شرح المهذب للنووي » جـ ١ ص ٩

ثم خرج الشافعي الى مكة وعاد الى بغداد في سنة ١٩٨ هـ ٨١٣ — ٨١٤ م وأقام بها أشهراً ثم انه خرج الى مصر في هذه السنة كما في معجم الادباء ويقول ياقوت في موضع آخر : ويقال : ان الشافعي رضي الله عنه قدم الى مصر سنة ١٩٩ هـ ٨١٤ - ٨١٥ م في اول خلافة المأمون وكان سبب قدومه الى مصر ان العباس ابن عبدالله بن العباس بن موسى بن عبدالله بن العباس استصحبه فصحبه وكان العباس هذا خليفة لأبيه على مصر ، جـ ٦ ص ٣٩٤ (١)

وفي شرح المهذب : « وقال الربيع قدم الشافعي (مصر) سنة

---

(١) وليس معنى ذلك أن الشافعي انما خرج الى مصر لمجرد الرغبة في مصاحبة الوالي فقد كان يتشوق الى مصر من قبل ورووا له في ذلك شعراً

أرى النفس قد أضحت تتوق الى مصر
ومن دونها جوب المخوفة والقفر
فوالله ما أدري أللفوز والغنى
أساق اليها أم أساق الى قبري ؟

وروى هذا الشعر أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني المعروف بابن الفقيه في كتاب البلدان المؤلف نحو سنة ٢٩٠ هـ منسوباً الى أبي نواس فيكون الشافعي قد تمثل بهما

وقد يفهم سبب خروج الشافعي الى مصر مما ذكره بن البزار الكردري في مناقب الامام الاعظم أبي حنيفة على ما فيه من التحامل البين : عن الجارود بن معاوية قال : كان الشافعي ما بالعراق يصنف الكتب وأصحاب محمد يكسرون عليه أقاويله بالحجج ويضعفون أقواله وضيقوا عليه وأصحاب الحديث أيضاً لا يلتفتون الى قوله ويرمونه بالاعتزال فلما لم يتم له بالعراق سوق خرج الى مصر ولم يكن بها فقيه معلوم فقام بها سوقه جـ ٢ ص ١٥٣

واذا كان الشافعي قد خرج الى مصر يلتمس نشر مذهبه فهو انما أراد أن يلتمس لآرائه ميداناً جديداً بعد أن أدرك النصر في الحجاز والعراق

وقال الربيع سألني الشافعي عن أهل مصر فقلت هم فرقتان فرقة مالت الى قول مالك وناضلت عليه وفرقة مالت الى قول أبي حنيفة وناضلت عليه ، فقال أرجو أن أقدم مصر ان شاء الله فآتيهم بشيء أشغلهم عن القولين جميعاً ، قال الربيع ففعل ذلك والله حين دخل مصر » ابن حجر ص ٧٧

ماكين ولعله قدم فى أخر سنة تسع جمعا بين الروايتين

وصنف كتبه الجديدة كلها بمصر وسار ذكره فى البلدان وقصده الناس من الشام والعراق واليمن وسائر النواحى للأخذ عنه وسماع كتبه الجديدة ، ص ٩

وفى ابن خلكان : « ثم عاد الى بغداد سنة ثمان وتسعين ومائة فاقام بها شهراً ثم خرج الى مصر وكان وصوله اليها سنة تسع وتسعين ومائة وقيل إحدى ومائتين .

وأقام الشافعى بمصر الى أن مات سنة ٢٠٤ هـ و ٨١٩ – ٨٢٠ م (١) كان فى آخر عمره عليلا شديد العلة من البواسير حتى قالوا : أن صدره أصبح ضيقا ، وأنه كان يقول أنى لآتى الخطأ وأنا أعرفه يعنى ترك الحية

وفى كتاب « توالى التأسيس » لابن حجر : (قلت : قد اشتهر ان سبب موت الشافعى : ان فتيان بن ابى السمح المالكى المصرى وقعت بينه وبين الشافعى مناظرة فبدرت من فتيان بادرة فرفعت الى أمير مصر فطلبه وعزره فحقد ذلك فلقى الشافعى ليلا فضربه بمفتاح حديد فشجه فتمرض الشافعى منها الى ان مات ولم أر ذلك من وجه يعتمد) ص ٨٦

لم تقتل الشافعى شجة « فتيان » المزعومة أنما قتل الشافعى مابذله من جهد عنيف فى السنين الأربع التى أقامها بمصر مابين تأليف وتدريس ومناظرة وسعى فى بث مذهبه ومدافعة كيد خصومه ، هذا الى مرضه المنهك . وقد كان فى ذلك العهد مصابا بنزيف من الباسور

قال الربيع تلميذه : أقام الشافعى ههنا أربع سنين فأملى الفا وخمسمائة ورقة ؛ وخرج كتاب « الام » ألفى ورقة وكتاب « السنن » وأشياء كثيرة كلها فى مدة أربع سنين ؛ وكان عليلا شديد العلة ... « ابن حجر ص ٨٣ ، وكان يلازم الاشتغال بالتدريس والافادة فى جامع عمرو ..

وكان يجلس فى حلقته اذا صلى الصبح فيجيئه اهل القرآن فيسألونه ، فاذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه عن معانيه وتفسيره ؛ فاذا ارتفعت الشمس قاموا واستوت الحلقة للمناظرة والمذاكرة : فاذا ارتفع النهار تفرقوا وجاء اهل العربية والعروض والشعر والنحو حتى يقرب انتصاف النهار ثم ينصرف الى منزله « ابن حجر ص ٦٣

واخرج أبو نعيم من طريق ابن حسين المصرى سمعت طبيبا مصريا يقول : ورد الشافعى مصر فذاكرنى بالطب حتى ظننت أنه لا يحسن غيره ، فقلت له اقرأ عليك شيئا من كتاب أبقراط فأشار الى الجامع فقال ان هؤلاء لا يتركونى « ابن حجر ص ٦٦

وقد يكون الشافعى درس الطب كما درسه من العلوم فى العراق حينما جاءها أول مرة

وقد يكون درس علوم التنجيم ايضا هناك ، وانهم ذكروا ان الشافعى اشتغل بعلوم التنجيم : وكل ذلك يدل على ما كان من شغف للامام بالعلم كله

وقد يكون هذا الجلوس المتوالى فى الجامع من أسباب ما أصيب به الامام من المرض .

وذكر الاستاذ مصطفى منير ادهم فى رسالته « رحلة الامام الشافعى الى مصر » ان أهل الامام ذهبوا الى الوالى فى صباح الليلة التى توفى فيها ، وكان الوالى هو محمد بن السرى بن الحكم ، وطلبوا اليه الحضور لتغسيل الامام كما أوصى ؛ فقال لهم الوالى : هل ترك الامام دينا ؟ قالوا نعم ، فأمر الوالى بسداد ذلك الدين كله ، ثم نظر اليهم وقال لهم هذا معنى تغسيلى له ص ٤١

وان صحت هذه القصة التى لم يذكر راويها (١) لها استاداً فهى تدل على أن الشافعى خرج من الدنيا فقيراً كما دخلها فقيراً

ولسنا نشك فى أن الشافعى مات فقيراً ، لكنا نشك فى أمر استدانته ، فقد روى ابن حجر فى « توالى التأسيس » عن ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن سواد السرحى قال : قال لى الشافعى أفلست ثلاث مرات فكنت ابيع قليلى وكثيرى حتى حلى ابنتى وزوجتى ولم أستدن قط ص ٦٧

وتزوج الشافعى (حمدة) بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان ابن عفان فولدت له (أبا عثمان محمدا) وكان قاضيا لمدينة حلب (وفاطمة) (وزينب)

---

(١) فى كتاب التوفيقات الالهامية لمحمد مختار باشا

فى ٤ من يناير سنة ٨٢٠ كانت وفاة الامام محمد بن ادريس الملقب بالشافعى – ض – وهو صاحب المذهب الشافعى ولم يبلغ من العمر أكثر من ٥٤ سنة ودفن بالقرافة الصغرى ص ١٠٢

(١) وقد عثرت على هذه الرواية فى كتاب (تاريخ مصر) المشهور (بدائع الزهور فى وقائع الدهور) ولفظه : قيل : لما مرض الامام الشافعى أوصى بأن لا يغسله الا أمير البلد فلما مات حضر محمد بن السرى أمير البلد فقيل له : ان الامام أوصى بأن لا يغسله الا أنت . فقال : هل ترك الامام وعليه دين ؟ فقيل : نعم فحسبوا ما عليه من الدين فاذا هو سبعون الف درهم فقضاها عنه محمد بن السرى وقال : هذا غسلى اياه وانما كنى عن الدين الذى عليه لاقضيه عنه جـ ٣ ص ٢٣

الطبيعة فى شعر ابن خفاجة

— ٤ —

ثم لاحظ فى هذه المقطوعات أنه يتعرض للمكان الذى شرب عنده الخمر بالذكر : فيصفه ويصف النمامة الدكناء والشمس المريضة : فاذا لاحظت ذلك فانك لابد واجد الاختلاف البين بين خمريات أبى نواس المطولة وبين خمريات ابن خفاجة القصيرة . فلعلك ترى أن ابن خفاجة لا يجعل الخمر ولا غيرها موضوعا يقول فيه الشعر ، ولكنه يجعل مناظر الطبيعة ومتفرجاتها موضوعا يتكلم عنه ويصفه ، ثم يتعرض فى أثناء وصفه إياه الى الخمر الحمراء والى كؤوسها البيضاء بالوصف ، ويتعرض الى الساقى والشاربين بالذكر ، فيكون من ذلك صورة قوم عاكفين على الشراب فى آخريات النهار أو فى رائعة الصباح على ضفاف الجداول فى ظل الأدواح وبين العرار والاقاح .

هذا هو الفرق ، تدركه حين تعلم ان ابا نواس كان مغرما بالخمر وان ابن خفاجة كان مغرماً بالطبيعة ؛ وان ابا نواس كان يقصد الى الخمر قصدا فينشىء القصيدة فيها ، وان ابن خفاجة كان يقصد الى الطبيعة قصداً فينشىء المقطوعة فيها ، وحين تعلم ان ابا نواس فى خمرياته يقصد الى خمارة البلد فيدخلها ويشرب ويصف مجلسه فيها والخمر التى يتناولها والكؤوس التى يرشف منها ، وان ابن خفاجة كان يقصد الى المتفرجات والمناظر فيصفها ويصف مجلسه فيها ؛ وحين تعلم ان ابا نواس كان يشرب ويكثر من الشرب فى الحانات او فى المنازل فى كل وقت حتى يسكر وتميل به الكأس ، وان ابن خفاجة لايشرب الا حين يدعوه جمال المنظر ورقة النسيم واعتدال الاقليم

فابو نواس حين يصف الخمر كابن خفاجة حين يصف الطبيعة ، وابن خفاجة كأبى نواس فى الاقلاع عن الخمر وفى التوبة عنها يحسنان وصفها ويجيدانه : فيقول ابو نواس :

وقلت لساقيها اجزها فلم اكن ليأبى امير المؤمنين واشربا
فجوزها عنى سلافا ترى لها الى الافق الاعلى شعاعا مطنبا
اذا عب فيها شارب القوم خلته يقبل فى داج من الليل كوكبا

ويقول ابن خفاجة :

يا حبذا نادى المدام ومجتلى سر السرور به وملهى الانفس
ولئن كففت عن المدام فان لى نفساً تهش بصدر ذاك المجلس
لولا الحياء من المشيب لقبلت ثغر الحباب به وعين النرجس

فهو يتأوه ويقول : ياحبذا نادى المدام حيث السرور وحيث الطرب ؛ ولئن كنت قد كففت عن الشراب واقلعت عنه فأن لى نفساً تهش اليه مع الصدور . وتحن اليه على البعد ؛ ولولا حيائى من المشيب لقبلت ثغر الحباب . وحضرت مجالس الاحباب .

ويقول كذلك :

صحا عن اللهو صاح عافه خلقا فقام يخلع سربالا له خلقا
وعطل الكأس من شقراء سابحة ألا كفاها بريعان الصبا طلقا
ورب ليلة وصل قد لهوت بها مغازلا فلقا أو شاربا شفقا

فهو يقول : لقد صحوت عن اللهو وعفته . وقمت أخلع سرباله الخلق الرث ، وقد عطلت الكأس من الخمر الشقراء بعد أن كانت فى ريعان الصبا طليقة غير معطلة ، ومقربة غير مبعدة ، وموصولة غير مقطوعة : الى هنا يمسك نفسه عن تذكر الماضى ولكنه بعد ذلك لا يرى بدأ من ذكره فيقول ، ورب ليلة قد اجتمع لى فيها خمر حمراء ووجه جميل ؛ فكنت أقضيها بين مغازلة صباح وضاء ، وبين رشف شفق أحمر

وهو فى القطعة الاولى جعل للحباب ثغراً وأنه لولا المشيب لقبله ، وفى القطعة الثانية شبه الخمر بالشفق الاحمر : والثغر والشفق منظران من مناظر الطبيعة .

هذا ماوعدناك به فى هذا الفصل ؛ فهل ارتحت اليه وهل أعجبت بشعر ابن خفاجة حين يذكر الخمر ويذكر معها جمال الوقت واعتدال الزمان فيسكرك بوصفه الخمر ويطربك بوصفه الطبيعة :

(له وشفها دونى ولى دونه السكر)

وكأنى بك تتمايل من شدة الطرب وتترنح من شعر ابن خفاجة كما ترنح العباس بن الاحنف حين سمع قول ابن الدمينة يتشوق الى نجد :

الا ياصبا نجد متى هجت من نجد لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

اذا كان ذلك فاسمع اذن هذه المقطوعة فى الخمر :

ندى النسيم فما ارق واعطرا وهفا القضيب فما أغض وأنضرا
فزففتها بكراً اذا قبلتها القت على وجهى قناعا احمرا
ورفلت بين قميص غيم هلهل ورداء شمس قد تمزق اصفرا
والريح تنخل من رذاذ لؤلؤاً رطبا وتفتق من غمام عنبرا

الطبيعة في الغزل : — قرأت قولنا في خمريات ابن خفاجة ورأيت أقواله في الخمر ، ولابد لنا حتى تزول عنك تلك النشوة التي اصابتك من جمال وصفه ومن جودة تشبيه من ان نورد على مسامعك هذه الابيات :

وأبتغ بكيس كأس مشمولة	واسحب ذيول اللهو واخلع وهب
واستضحك المجلس عن قهوة	قد نبهت للصبح هدءا فهب
نارية اللــذعة نورية	في صفرة فاقعة او صهب
وهز من عطفيك عن نشوة	غضا اذا مانفس الصبح هب
بابيض كالماء مستودع	ماشئته من احمــر كاللهب
لوذاب هـذا لجرى فضة	او جمدت تلك لكانت ذهب

فاذا صحوت من نشوتك فاصغ اذا شئت الى قولنا في غزله والى وصفه الطبيعة في ذلك الغزل .

وانك بعد ان نورد على مسامعك غزله الرقيق ووصفه الاعضاء وتناسقها ، والليالي وجمالها ، والطيف وزيارته ، ستجد في كل هذا وصفا للطبيعة لم يبلغه الكثير من اساطين الشعر . قال يتغزل :

فتق الشباب بوجنتيها وردة	في فرع اسحلة تميد شبابا
وضحت سوالف جيدها سوسانة	وتوردت اطرافها عنابا
بيضاء فاض الحسن ماء فوقها	وطفا به الدر النفيس حبابا

فهو يقول : انها شابة فتق الشباب بوجنتيها وردة حمراء ، كأن قامتها الهيفاء شجرة الأسحل تميد نضارة وشبابا ، وكأن سوالف جيدها البلوري سوسانة ، وكأن اطراف اصابعها عناب . وهي الى ذلك بيضاء كأنما الحسن ماء فاض فوق جسمها فطفا عليه حباب ابيض : يشير بذلك الى انها مطوقة بقلادة من الدر . ثم يختم تغزله بهذه الابيات :

بين النحور قلادة تحت الظلا	م غمامة دون السحاب نقابا
نادمتها ليلا وقد طلعت به	شمسا وقد رق الشراب سرابا
وترنمت حتى سمعت حمامة	حتى اذا حسرت زجرت غرابا

ثم اقرأ قوله :

ومهفهف طاوي الحشا	خنث المعاطف والنظر
ملأ العيون بصورة	تليت محاسنها سور
فاذا رنا واذا مشى	واذا شــدا واذا سفر
فضــح الغزالة والغما	مــة والحمامة والقمر

ولاحظ بعد ذلك ما يمكنك أن تلاحظه : فلعلك ترى ان غزل ابن خفاجة لايشابه غزل غيره من الشعراء : فهو غزل اشبه شيء بوصف مناظر الطبيعة : فهو حين يقف امام محبوبته فيتغزل بها يكون كأنه واقف امام منظر من مناظر الطبيعة ، وكأن غرامه بالطبيعة ومناظرها يغلب على شعره حتى في اوقات الغزل ، فيشبه حمرة وجنتيها بالوردة الحمراء ، وقامتهـا بشجرة الاسحل ، ثم يرى من سوالفها السوداء فوق جيدها البلوري ، ومن اطراف اصابعها التي خضبتها الحناء ما يذكره بالسوسن والعناب ، ويشبه حسنها بالماء الصافي ، وقلادتها اللؤلؤية بالحباب ، وفي القطعة الثانية يشبه محبوبه بحيوانات الطبيعة : يشبه رنوه بالغزالة ، ومشيه بالنعامة ، وشدوه بالحمامة ، ووجهه السافر بصفحة القمر المنير ،

ولعلك تلاحظ أيضا أن غيره من الشعراء يقف في غزله موقف الولهان فيمعن في وصف محبوبه . وفي وصف حاله ، ثم ينبري فيبدي شكواه ويتألم ويتوجع ويصف عاطفته المهتاجة ونفسه الملتاعة .

ألا ترى الى ابن الدمينة كيف يبث في مقطوعته لواعج نفسه وكيف يبوح بوجده الذي يسره لمحبوبه حين يهب عليه ريح الصبا فيذكره بديار الحبيب :

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد	لقد زادني مسراك وجدا على وجد
أإن هتفت ورقاء في رونق الضحى	على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكي الوليد صبابة	وشجوا وابديت الذي لم تكن تبدي
وقد زعموا ان المحب اذا دنا	يمل وان النأي يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف مابنا	على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع	اذا كان من تهواه ليس بذي ود

وانظر الى البحتري كيف يبكي على فراق علوة الحلبية بما يثير العواطف والشجون :

قضت عقب الايام فينا بفرقة	متى ما تغالب بالتجلد تغلب
فانك لا اشف الغليل وان ادع	ادع لوعة في الصدر ذات تلهب
الا لا تذكرني الحمى ان ذكره	جوى باطن للمستهام المعذب
اتت دون ذاك العهد ايام جرهم	وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب
وبالأمي في عبرة قد سفحتها	لبــين واخرى مثلها للتجنب
تحاول مني شيمة غير شيمتي	وتطلب مني مذهبا غير مذهبي
وما كبدي بالمستطيعة للاذى	فاسلو ، ولا قلبي كثير التقلب
ولما تزايلنا من الجزع وانتأى	مشرق ركب مصعد عن مغرب
تبينت أن لا دار من بعد عالج	تسر ، وأن لا خلة بعد زينب

ولكن ابن خفاجة لم يكن له من ذلك حظ قليل ولا كثير لأنه لم يكن له حبيب يبكي على فراقه ويطلب الشفاء مما تقاسيه نفسه ولم يكن له من لائم يلومه ويكلفه مالا طاقة له به

«البقية على صفحة ٢٩»

مِنْ طرائف الشِّعر

بعـــد ٢٥ ســـنة

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

تذكر الشاعر الكبير أخاه المرحوم عبد الغني الزهاوى فهاجته الذكرى ودفعته الى زيارة قبره فبكى عليه ما شاء له الحزن أن يبكى ، ثم نظم قصيدته هذه متأثراً كأن أخاه قد مات بالامس

أخى الى الموت ســـلكْ   أخى قضى، أخى هـــلكْ
دار علـيـــه بِرَحا   ه طاحناً له الفَـــلك
أخى عن النور تولَّى   راحلا الى الحلَك
ليس طريقـــا للرجو   ع ماله اخى سلك
ماذلَـكتْ شمس النها   ر. انمـــا أخى دَلك

اخىَ اخى انى أنا   ديك ولاجـــواب لك
اخى اخى ماذا من الـ   أسباب عنى شغَلك
ليتَ إلـه الطب وا   فاك فداوى شللك (١)
قد زرْتُ قبرك الذى   ترابُهُ قد شمـــلك
من ذا بهذا الجدَث الضـ   ـنك اخى قد جعلك؟
من ذا عن الحراك فى   هـــذا الحفير كبَّلك
درستَ ياقبرُ وقد   زرتك ابـــكى طلَلك
لم يبق غيرُ الحزن لى   أمّا دموعى فهى لك
كيف وجدتَ ياأخى   فى جوف قبرٍ منزلك!
وعندما دخلتَ ..   ـه الباب من ذا استقبلك؟
من ذا نضا عنـــك الثيا   بَ البيضَ من ذا دلّلك؟
من ذا من الاموات حيّا   ك ومن ذا قبّلك؟
والخـــير أن تجهـــل فى   ملحـــودة مســـتقبلك
لاتخشَيَنْ من أبدٍ   ســـوف يلاقى أزلك
مالى أراك ذا صُـــمو   تٍ غـــير مُبدٍ جذَلك
آخـــرك المثـــير للـ   ـحُزن ينافى أوّلك
ابـــكى عـــليك كلما   لىَ الخيـــال مثَّلك
ابـــكى لذكراك كما   بكيتُ يوم مُتّ لك
ابـــكى خـــلالك التى   سمت وابـــكى جُمَلك
يايوم فى صبحـــك اظـ   ـهرت لعينى طفَلك!
ياموت اشرعتَ عـــلى   صـــدر شقيقى أسَلك
ياليـــل احزانىَ من   بعد اخى ما اطـــولك!
ويانهار كنت بسّـــاماً فمن   ذا بدلك؟
ياطرف أهرِق من دمو   عـــك البواق وشـــلك
ياهمُّ إنّ ماجـــرى   من ادمعى ماغسلك
ياقلبُ لايرجع مَن   احببتَ فاقطع أمَـــلك
ياشعر قـــل مؤرخـا   «عبد الغنىّ قد هـــلك»

«١٣٢٦»

(١) مصاباً بداء الشلل

غربة النبـــوغ

للعالم الشاعر الاستاذ احمد الزين

مَن لثاوٍ فى الأهل يشكو اغترابه
سئم العيش عذْبه وعـــذابه
ودّ لو تطفىء المنونُ وميضاً   من حياةٍ برُوقُها خلاّبه
راحَ فى الليل يعقِد الامل الضخـ   ـم فلما بدا الضـــياء أذابه
كلّ يوم له أمانىُّ تفنَى   ورجاء تُذوى الليالى شبابه
تتهاوى الآمال منه فتهوى   فلَذاتٌ من نفســه الوثّابه
جحدوا عنده المواهبَ حتى   لم يبالوا أن يجحدوا وهّابه
يرسلُ النورَ فى عيون الخفافيـ   ـش فتأبى العيون الا احتجابه
ويسوق اللحنَ الشجىّ الى الصـ   ـم فتأبى الأسماعُ الا نعابه
ويفيض العذبَ الشهىَّ على أفـ   ـواه مرضى لاتستسيغ شرابه

ولكم نفحةٍ من الروض صدوا … عن شـذاها واستروَحوا أحطابه

أكثرُ الانسِ لا تُحس لديه … من صفات الانسان إلا إهابه

حاملٌ في أديمه نفسَ عجما … ء وفي الشكل مشبهٌ أضرابه

يا لجُهد قد كان يذكو التهاباً … أخمدَ الغبنُ والعقوقُ التهابه

وفؤادٍ قد كان مَهدَ الاماني … صار لحداً تَسقى الدموعُ ترابه

وذكاءٍ يُجزَى عليه جحوداً … حين يجزَى الغبيُّ منهم ثوابه

ونبوغٍ يضيع بين جهولٍ … وحَسودٍ بالضغن ضل صوابه

تملأ الشمسُ عينَه فيراها … وعليها من الحقود ضبابه

كم دعيٍّ قلدتموه خطير الام … ر فيكم وذدتمو أربابه

وغبيٍّ يحيا سعيداً ويعزو … ن اليه من كلِّ فنٍّ لبابه

حين يشقى أخو الذكاء ويطوي … فيكمُ العمرَ حاملا أوصابه

لم ينافقْ فيستَحقّ لديكم … رَغدَ العيش مُحكماً أسبابه

علِّموه الرِّياءَ مما علمتم … وخداعَ النهى فيقرعَ بابه

بل دَعوه وشأنه لن تروه … بائعاً نفسَه ولا آدابه

إن سفك الدماء أوهى حساباً … من دم الفضل تحملون حسابه

انما العبقريَّ روحٌ من اللّ … ه أمينٌ يوحي إليكم كتابه

إن قتلَ النبوغ قتلٌ لشعبٍ … وعناد لله فيمن أنابه

ساجعة

وساجعة في السدر والليل ساكن
سوى نسمة في الروض تستقبل الفجرا

ترجع أنات الحنين بغصنها
فتحسب رجع الصوت من شجوها جرا

وتدعو جناحا لا يلبي نداءها
أبى البين إلا في مفاصله كسرا

يرفِ الخيلَ الطلق غصناً وزهرة
فما نظرت غصنا ولا رمقت زهرا

إذا ذرفت من لاعج الشوق دمعة
اجابت هواها في محاجري الأخرى

وماخضبت كفـا ولكن أدمعاً … تكفكفها ردت أناملها حمرا

هو البين ياورقاء كدر صافياً … من العيش فاستبدلت من حلوه المرا

تعالي حدثي حر الأسى عن مجرب … حوى اللحظ أسيافاً وعالية سمرا

له كبد كالربع ضاعت سطوره … سوى أثر فيهن لم يبلغ السطرا

تظل عيون الشوق تنشد رسمها … إذا ما دعاها في جو امحى الذكرى

وعين هتون الدمع غشى جفونها … قروح على أيامها أبداً عبرى

جفاها الكرى إلا غراراً فنومها … كحسو القطا تلوى مناقيرها ذعرا

يزيد محولا خـدها كلما همت … وما ان عهدت الجدب لاعدم القطرا

سقا الريف من (دمياط) هتان ديمة … وحيا الصبا فيه ملاعبنا الخضرا

تركت بهـا أنا في رباها مخضبا … كأن على أطرافها الورق النضرا

عجبت لنفسي يوم ودعت كيف لم … أمت شجنا او تحترق كبدي الحرى

علي شرف الدين
دبلوم دار العلوم

الطبيعة في شعر ابن خفاجة

(بقيـة المنشور على صفحة ٢٤)

يكفني عنك العذول تصبراً واعوز شيء مايكلفنيه

وانما كانت حية الطبيعة ، والطبيعة ماثلة في كل مكان وزمان قريبة الوصال هينة اللقاء ، ولأنه كان يرى ان كل مافي الحياة مجلس اخوان ود في بستان أو على ضفة جدول يقرضون الشعر ، ويرشفون الخمر ، ويمتعون أنظارهم بجمال الطبيعة الساحر ، فلم يك في غزله الا وصافاً للطبيعة ، ولم يك في غزله ولهان ، ولم يك في غزله مفحشا

هذه ملاحظات قليلة خلاصتها انه لم يتفنن في غزله تفنن المحبين المغرمين امثال ابن الدمينة والبحتري وغيرهما ، ولم يفحش في غزله فحش ابي نواس

(يتبع) ادلب عبد الرحمن جبير

مختـــــارات

من شعر الشاعرة الفرنسية مارسلين

ترجمة الاستاذ خليل هنـــداوى (١)

— ١ —

حياة اليمام وموته

يابنات الهديل !

إيه ! لله دركن فاتنن اللواتى تحسن حفظ الوداد

العذرى

هذا هو الورشان الامين بين اسراب اليمام !
يطير فى الغابة ، لا يستهويه القعود ، ليظل هافياً حول محبوبته .
ولا يقدر على أن يأوى الا الى الوكنة التى سكن فيها هواه ،
حيث جناح محبوبته الملتهب يدفىء جسده دائما

دعوا القلبين المؤتلفين يخفقا ويضطربا ؛
فما حياتهما الا خيط ذهبى تربطه عقدة سرية ،

. . . .

بربكم ! لا تفصـــلوا بينهما ! فانهما يموتان
هما لا يبغيان الا قليـلا من سارى الهواء ، وقليلا من وارف
الظل ، ومتكأ على ساقية ندية تروح عن قلبيهما !

(١) أنظر العدد الماضى ص ٢٦

ولا يريدان — من كل السماء والأرض — الاعشا جيلا مظللا
يتقاسمان فيه أسباب الحياة ، ويوارى سعادتهما :
اذا لم تعد عيناك تلمحان — يمامة الغابة — يلمع نصفها الابيض فى الفضاء
وهى تجوز عبر الشاطىء ، فلا تقل : هجر أحدهما رفيقه
فانهما — وهما يحبان دائما — لم يعرفا الحب الا مرة واحدة

دع شكوك نفسك واتبع آثارهما الضائعة
فانك واجد فى الوكنة — فى الضريح الصامت —
أربعة أجنحة مبسوطة تغمر قلبين هامدين
سيضطرمان حبا فى السماء !

— ٢ —

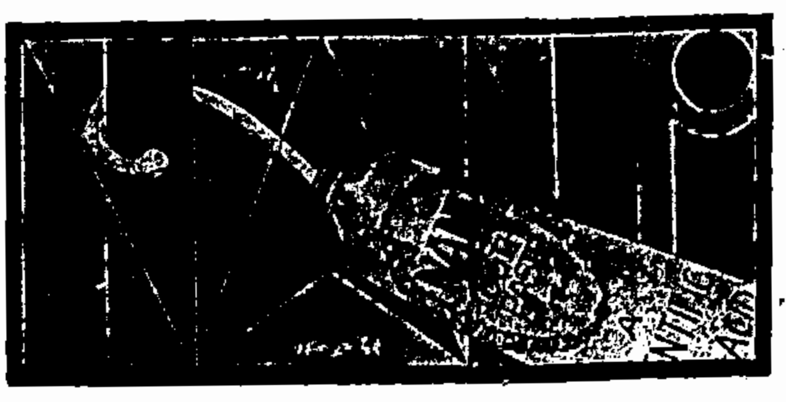
اليقظـــة

هل فى استطاعتى أن أتذوق النوم الشهى ، على هذا السرير القصى ؟
أنا أشعر بالهواء يطيب شذاه حين يهفو من حولك
لأن ثغرك زهرة طافحة بالعبير !
فتعال يا كنزى ! ولا تضرم سواى !
وتيقظ ! ألا تتيقظ !

لكن هذه النفحة الغرامية .
هذه القبلة التى أتمناها ، لا أجرؤ على طبعها على شفتيك ،
وهى تضاعف لى أيام حياتى اذا سمح بها قلبك ،
ولكن نعاسك يطول ! وانت تميتنى
وأنا لا أجرؤ على طبعها !
تعال ! اننا سنجد ظلا وارفا تحت شجرات الموز
والعصافير ستستأنف تغريدها اذا لمحتنا غارقين فى الحب

والشمس غلبت عليها غيرتها ، فتوارت وراء الغيوم
وأنا لا أبحث عن نور الضحى الا فى عينيك !
الا تعال ! وابسط على الحب نوراً

لا لا ! أنت لن تنام ، أنت تقاسمنى لواعجى
وقبلاتك هى الأرى الذى تمنحه لنا الازهار ،
لماذا يتنهد قلبك ؟ هل تفتش عن نفسى ؟
ان نفسى تطفو على ثغرى ، وتهم بأن تجفف دموعك ،
ألا وارنى تحت الازهار !



الشـــعر

محاضرة للشاعر الكبير «بول فاليرى»

عضـــو المجمع الفرنسى

مترجمة بقلم الأديب عبد الرحمن صدقى

منذ أسابيع عرض الدكتور طه حسين على صفحات هذه المجلة رأى «فاليرى» فى الشعر، ومنذ أسبوع حاضر فيه جمهرة حاشدة من سامعيه، ونحن ننتهز هذه المناسبة لترجمة محاضرة الشاعر نفسه عن الموضوع نفسه إتماماً للفائدة. ولما كان موضوع البحث دقيقاً فقد حرصنا على دقة الأصل. ولم نستحسن لأنفسنا — بحجة التوضيح والتبيين — تحريف الكلام أو الاضافة إليه أو الاقتضاب منه. ويعذرنا القراء اذا نحن أوصيناهم أيضاً بالتدقيق فى مطالعته وإكثار مراجعته.

«المترجم»

جئنا اليوم نحدثكم عن الشعر فهو موضوع العصر. وعجيب أن عصراً يجمع بين العمل واللهو المسرف معاً — وقد بعد بعيداً عن سبحات التفكير والتأمل النظرى عامة — يهتم هذا الاهتمام كله بالشعر، ولا يقف عند الشعر ذاته، بل يتعدى اهتمامه أيضاً الى نظرية الشعر.

اذن: أستبيح لنفسى اليوم أن سبح قليلا فى النظر التجريدى، وعذرى أنى بهذه السبيل أستطيع الايجاز فى القول.

وانا مقترح عليكم فكرة عن الشعر، ونيتى مجمعة على ألا أذكر غير ما كان من قبيل المقررات البحتة، وما كان فى امكان الناس أجمعين أن يلحظوه فى أنفسهم أو بأنفسهم أو على الاقل يجدونه باستدلال هين ميسور.

وسأبدأ من البداية. والبداية — فى هذا المعرض من الآراء فى الشعر — هى بالضرورة تناول هذا الاسم نفسه بالنظر. كما يجرى على الالسنة فى الكلام المعتاد

كلمة الشعر

تعرف لهذه الكلمة مدلولين، أعنى وظيفتين بينهما فرق بعيد. فهى تعنى أولا نمطاً من الخوالج النفسية، أو حالة عاطفية خاصة تثيرها أشياء شتى أو ظروف جد مختلفات

ونحن نقول عن منظر من المناظر الطبيعية أنه شعرى. ونحن نقولها عن طور من أطوار الحياة. وأحيانا نقولها عن شخص

ولكن هناك محملا آخر لهذا اللفظ. ومدلولا ثانيا هو أخص من الاول. والشعر على هذا الوجه الثانى يذهب باذهاننا الى احد الفنون: الى صناعة عجيبة غرضها أن تعيد كرة اخرى إنشاء هذه العاطفة التى يدل عليها الوجه الاول للفظ

فاستعادة العاطفة الشعرية عند القصد وبواسطة افانين اللغة دون الظروف الطبيعية التى تولدت فيها عفوا، هو هو مطلب الشاعر، وهو هو الفكرة المقترنة بكلمة «الشعر» فى مفهومها الثانى، وفيما بين هذا التصور وذاك يوجد من العلائق والفروق مثل ما بين أرج الزهرة وبين عملية الكيميائى العاكف على تأليف العطر من كافة الاجزاء.

على ان الناس يخلطون فى كل لحظة بين هاتين الفكرتين، فتنجم من ذلك طائفة من الاحكام والنظريات فضلا عن المصنفات. فاسدة فى أساسها لأطلاقها كلمة واحدة على شيئين هما على ارتباطهما جد مختلفين

العاطفة الشعرية

ولنجعل أول كلامنا عن العاطفة الشعرية! أى عن الحالة العاطفية الاصليـــة

تعرفون ما يخالج معظم الناس من شعور يتفاوت قوة وصفاء بين يدى مشهد طبيعى رائع، فمناظر الغروب: والليالى القمراء، والاحراج الشجراء، والبحر، تطربنا وتحرك عواطفنا. وعظائم الاحداث وأزمات الحياة النفسانية، وأشجان الحب، وتذكر الموت كلها مناسبات أو أسباب مباشرة لما يقع فى الوجدان من تجاوب واصداء داوية، بالغة فى الشدة أو غير بالغة: قوية التنبه أو ضعيفته

وهذا اللون من خوالج الانسان يتميز من سائر خوالجه الاخرى فبم يتميز؟ ذلكم ما يعنينا بحثه فى مطلب اليوم: فيهمنا أن نقابل بكل ما يستطاع من الوضوح بين العاطفة الشعرية والعاطفة العادية: والتفريق بين هذين عمل جد دقيق. اذ هما لم ينفصلا قط فى الحياة الواقعـــة. فنجد الانفعال الشعرى الأصلى مشوباً على الدوام بالحنو أو الاسى، بالغيظ أو الوجل أو الامل، ولا تبرح مصالح الشخص وعلائقه الخاصة متحدة بهذا «الإحساس بالكون» الذى يتميز به الشعر

الإحساس بالكون

قلت « الاحساس بالكون » وأعنى أن الحالة أو العاطفة الشعرية قوامها — فيما أرى — احساس ناشىء متولد ، أو بعبارة أخرى ، ميل الى الاحساس « بعالم » أو نظام مستكمل من النسب ، ذواته وكائناته ، وحوادثه وفعاله ؛ وان شابهت واحدة واحدة ما يعمر به عالم الحس ويتألف منه وهو العالم المباشر الذى هى مستعارة منه إلا أنها ذات صلة محكمة لا يحــدها الوصف بأساليب حساسيتنا العامة ونواميسها . ومن ثم فهذه الذوات وهذه الكائنات المعهودة تتغير قيمها ومعانيها بوجه من الوجوه . فهى تتــداعى وتتوارد ويلابس بعضها البعض على وجه يخالف كل المخالفة ما يجرى فى الأحوال العادية . فاذا هى « مدوزنة » ان جاز لى هذا التعبير ، واذا هى قد أصبحت متناسبة القياس متجاوبة .

وعالم الشعر بهذا الوصف فيه مشابه كبيرة بعالم الحلم

صورة الشعر والمبانى الحلم

وإذ تطرقت كلمة « الحلم » الى مقالى ، فانى أذكر لكم فى كلمة عابرة انه فى العصور المتأخرة من عهد مذهب المجازيين فى الكتابة (Romantisme) حدث خلط جل خطبه وان هان تفسيره بين تصور الناس للشعر وتصورهم للحلم ! فليست الاحلام ولا حالة النفس الحالمة شعرية بالضرورة . وهى قد تكون كذلك . ولكن صوراً تكونت بالمصادفة لا يمكن أن تكون صوراً ذات سياق وانسجام الا بالمصادفة .

بيد أن « الحلم » لشيوع معالجتنا له وتكرارها يساعد على تفهيمنا كيف أن الوجدان يمكن أن تطغى عليه وتفعمه وتجيله مجموعة من شتى ما تحدثه الانفعالات والمدركات العادية . فهو يضرب لنا مثلا متعارفاً عن « عالم محصور » تتراءى فيه سائر الاشياء الواقعة وتشكل بتشكل حساسيتنا العميقة ، وعلى هذا النحو تقريباً تستقر الحالة الشعرية فى أنفسنا وتنمو وتتحلل ، أى أنها لا تجرى بالضبط على قياس ، وانها متقلبة وغير اختيارية وسريعة العطب . وانّا نفقدها كما نحصل عليها عرضا . وفى حياتنا فترات لا يتجلى فيها هذا الاحساس الشعرى ، ولا تتبدى فيها هذه التوليدات العجيبة ، بل لا يخطر لنا امكانها فى بال ، فالصدفة تهبنا إياها والصدفة تستردها منا

الخلود رسالة الفن

ولما كان الانسان انسانا بماله من عزيمة وقدرة على استنقاذ مايهمه من حكم الفناء الجارى على الاشياء ، واحتفاظه بما ينقذ . واصلاح حاله وإقامة صرحه ، فقد صنع الانسان لهذه العاطفة الرفيعة ما صنعه أو عالج صنعه لسائر الاشياء التى يدركها الزوال مأسوفاً عليها . فبحث واهتدى الى الوسائل التى يثبت بها ويبتعث بسرها كيف شاء أجمل أطواره النفسية وأصفاها ؛ والتى يستطيع بواسطتها ان يعرض وينقل ويصون على تطاول الحقب أنماط أريحيته وهيامه وجيشان وجدانه . ثم كان من حسن العقبى أن اختراع وسائل البقاء هذه أتاح للانسان الفكرة والقدرة معاً على تعهد ماتمن به سليقته عليه أحياناً من قطع الحياة الشعرية بما ينميها اصطناعيا ويزيد فى زينها وغناها . فتعلم ان ينتشل من مجرى الزمن وان يستخلص من الظروف هذه التواليف وهذه المدركات العجيبة العارضة التى قد كانت ذاهبة بلا رجعى لولم يبادر فينا الكائن المتفنن الأريب الى معونة الكائن الوقتى ويسعف بمخترعاته النفس المحسة .

ولقد نشأت الفنون طراً لكيما تخلد أو تبدل — كل فن بحسب جوهره — لحظة من لحظات النعيم الزائل الى حقيقة راسخة من لحظات ممتعة لا انتهاء لها . فالعمل الفنى ليس الا أداة مادية لهذا الاكثار أو التوليد المستطاع .

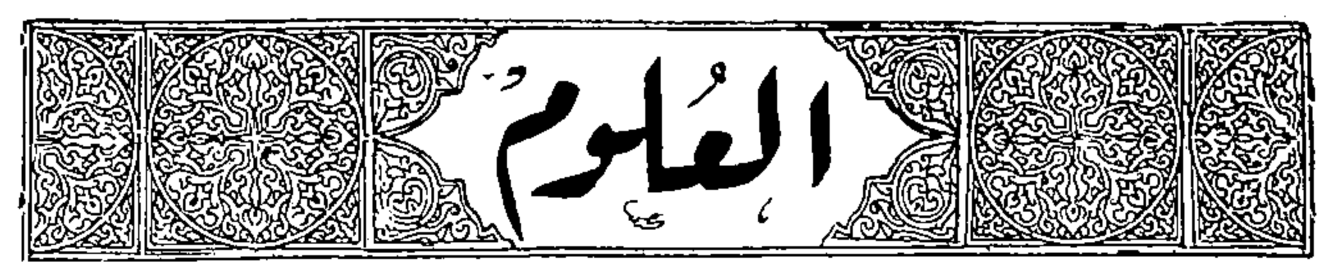
اللغة

والموسيقى والتصوير والعمارة أساليب شتى تتناسب مع اختلاف المعانى . وهى كلها وسائل لانشاء عالم شعرى أو لاعادة إنشائه ، وهى تهيؤه بحسن التنظيم للبقاء ، وتفسح بالعمل المدبر نطاقه وتوسع رحابه . إلا ان أقدم هذه الوسائل وأقربها مساساً وإن تك أشدها تعقدا هى اللغة . ولكن اللغة ، بسبب طبيعتها المجردة وتأثيرها على الأخص فى الفكر — تأثيرا غير مباشر ، وبسبب نشأتها الاولى ووظائفها فى الشئون العملية ، تورد الفنان الذى يمارس تنسيقها وصرفها الى الشعر مورداً معقداً عجيب التعقيد

وماكان يكون فى الدنيا شعراء لو أن الانسان تمثل فى وعيه المشكلات المطلوب حلها . (وما كان انسان يستطيع تعلم المشى لو استلزم المشى منه أن يتمثل ويستحضر فى خاطره صوراً واضحة لجميع العناصر فى أقل خطوة من خطاه)

ولسنا هنا — بحمد الله — فى مقام قرض الشعر ، بل نحن انما نعالج النظر فى الاشعار كأنها شىء مستحيل صنعه ، وذلك لكى نكبر جهود الشعراء اكبارا صافيا حيثا ، ولكى ندرك مبلغ اقدامهم وكدهم وركوبهم الصعاب ، ونتصور فضائلهم ، ونعجب فلا ينقضى العجب من قوة فطرتهم .

(البقية على صفحة ٣٤)



هل للعلم قيود تفرضها الاخلاق؟

للدكتور هنسن أسقف درهام بانجلترا

ترجمها بتصرف الدكتور احمد زكى

(تتمــــة)

« قيد الكاتب البحث العلمى فى المقال السابق بقيود ثلاثة ، أولها الواجب الذى تفرضه الاخلاق على دارس العلم بحكم رجولته ، وثانيها شروط تحتمها حقوق أولئك الذين تقع عليهم التجربة العلمية ذاتها ، وثالثها أمور يفرضها نوع النتاج المقصود من التجربة »

القيد الأول

أما فيما يختص بالقيد الاول فلا حاجة بنا فيه الى الافاضة الكثيرة . ان البحث العلمى يتطلب المزاج العلمى ، وان يباشره الباحث باخلاص للحقيقة ، وولاء مطلق لها ، واغفال تام لصالح الباحث ونفعه الشخصى ، واستسلام صريح للعمل المضنى ، واحتمال غير شاك للآلام فى سبيل الطلب

ورجل العلم لا يدعى حظا من العلم أكبر مما بين يديه ، ولا يحاول أن يُفيد من جهل الجمهور بعلمه ومن ثقة اعتاد أن يوليها العلماء ضرورة أو اختيارا ، وهو لا يستخدم سلطان العلم فيما يحط ويزرى ، ويعمل كل هذا لأنه واجبه الواضح البيّن باعتباره انسانا ، ولأنه فى علميته لا يستطيع أن يتنصل من انسانيته ، فمُثُل الانسان العالية هى مُثُل العالِم العالية ، والغايات النبيلة لهذا هى عينها غايات تلك ، وموقف الاثنين جميعا من الواجب العام هو الذى حدّث عنه غلادستون حين قال : « أنا لا أبالى ان أسأل كم فى الناس من سقط ، وكم فيهم من حثالة هربت من الاخلاق لحاق بها ما حاق … وانما انا اعتقد ان الواجب قوة حية ، تصحو معنا فى الصباح ، وترقد معنا فى الليل ، وتصحب كل عمل يصدر فى يقظاتنا عن ذكائنا الانسانى . الواجب ظل يتبعنا اينما سرنا فى مدارج الحياة ، ولا يتركنا الا عندما تُغمض الجفن الى الابد عن نور هذه الشمس »

ان اخضاع العلم للأخلاق بهذا المعنى مبدأ اعترفت به الدنيا قديما وأمنت عليه القرون . وضع أبقراط (١) حَلِفه المشهور وحدّد به مسلك الطبيب ، واحترمته الاجيال على السواء ، فاحترمه العرب المسلمون ، واحترمه اليهود ، واحترمه المسيحيون ، ولا يزال الى يومنا هذا أول عمل يأتيه الطبيب قبل ممارسة طبه . وهو عهد لا يختص به علم الطب وحده ، فكل شعبة من شعب العلم لا شك تقبل المبدأ الذى عبّر عنه أبقراط بهذا النبل ، وتقبل ما يتضمنه من هيمنة الخُلُق على جميع مناشط الانسان .

القيد الثانى

الى هذا الحد ليس هناك خلاف ، فليس من ينكر ان العلم لا يستطيع تحرير رجاله باعتبارهم أناسى من الشروط الاخلاقية التى تضبط سائر الرجال والتى بدونها تضيع ثقة الناس بالناس . ولكن عندما ننتقل من رجل العلم الى طريقته ندخل ارض الفتاوى والمحللات ، وهى دائرة يكثر فيها الجدل ويطول الحجاج ، وهنا قد يسرف العلم ويغلو كما أسرف الدين من قبله وغلا . فالعلم الحديث يشغل من الدنيا الحديثة مكانا أشبه بالمكان الذى كان يشغله الدين فى العصور الوسطى من الدنيا القديمة ، ففى تلك العصور كان التفكير الانسانى ينبت

(١) ابقراط طبيب أغريقى اسموه ابا الطب عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد وحلفه المشار اليه عهد يؤخذ به خريج الطب فى بعض الجامعات الى الآن بألا يفشى الطبيب للمريض سرا أمنا كلفه ذلك

في ارض طينتها دينية ، وهي اليوم طينة علمية . كان هوى الناس في الدين وكان تقديسهم لقساوسته، فصار اليوم هواهم للعلم وتقديسهم لاساتذته . ومن طالب الدليل على ذلك وجده في الذوق العام ، فعظات الاحبار لاتقرأ الا قليلا ، وكتب رجال العلم المبرزين تشترى بكثرة وتطلب بلهفة

وهنا يتساءل المرء ، وقد نزل الدين عن عرشه للعلم ، أيخضع هذا المتوج الجديد للغواية كما خضع المتوج القديم ، وهل يستدرج استدراجه ليؤول الى مثل مآله . ليس في التاريخ ماهو آلم من تاريخ « الافتاء » في النصرانية ، ولا أزرى منه ولا أكثر تحييرا وإربا كا ، وهو مع ذلك موضوع للمتأمل خصيب

انه مليء بمناقضات من الجسامة بحيث لا يتصورها العقل . انحى القديس بول على الفتوى التى تقول « دعونا نفعل الشر ليكون منه الخير » ومع هذا لم يؤثر هذا الانحاء شيئا في أفعال القسيسين ولا في نظريات الاخلاقيين ، وكان كل سؤالهم « في اى الظروف والى اى حد يجوز لنا فعل الشر ليحصل منه الخير ؟ »

هل يكون من العلماء يسوعيون كما كان من أهل الدين يسوعيون؟ وهل يكون لهؤلاء ناقد ساخر في القرن العشرين كما كان لأولئك في شخص بلايز باسكال Blaise Pascal في القرن السابع عشر؟ كان من مبادئهم ان لا عهد لهرطيق ، ولا ذمام لزنديق، وان الكذب والتزييف مباحان في سبيل حماية العقيدة وانتشارها ، وان التعذيب والقتل مشروعان في صالح الكنيسة ـ هذه ومبادىء أخرى قبلها رجال مسيحيون استحلوا بها اشنع الجرائم التى سجلها مداد واحتواها قرطاس

فهل يتطور العلم في هذه الناحية مثل ما تطور الدين؟ هل يسيطر الاعتبار الخلقي على الطريقة العلمية ، أم هل يتغلب صالح العلم المزعوم على هذه الاعتبارات جميعا ؟ هذا هو المحور الذى يدور عليه كثير من النقاش الذى يمس التجارب العلمية الحديثة ، ومنها تشريح الحيوان الحى الذى كثر اللغط فيه وتطاول الحجاج في السنوات الاخيرة . قال قوم انه عمل حلال أمن عليه القانون واطمأن فيه الى ان العلماء انما يأتونه خدمة للمعرفة ، وقال آخرون انه عمل محرم ، تحرمه الانسانية لانه يتضمن ألما للحي ، وقال غير هؤلاء : ان تحليله وتحريمه موطنان بمقدار الالم الذى تعانيه الحيوان . والحق ان المسألة لها طرفان اولهما يتعلق بالغرض الذى من اجله يجرى التشريح . وثانيهما يتعلق بالحى الذى يشرح . اما الغرض فيجب أن يكون من الكفاية بحيث يتزن مع التضحية ويستأهل الآلام . جميل أن نصيح « أن العلم للعلم » ، ولكن هل نقبل هذه الجملة على أطلاقها أم لابد من الحذر الشديد عند تطبيقها ؟ أى المعارف يجب أن نقصد اليه ، وهل كل معرفة جديرة بالعرفان ؟ يفرق الاستاذ « وايتهد » بين الطالب يطلبه المرء في سبيل العلم ، والطلب يطلبه حلا لقضية رخيصة أخطرها بالبال الخيال السائب اللاهى . أما فيما يتعلق بالحى الذى يشرح ، بالحيوان الأعجم الذى ينطق ، فأمره يتوقف على النظرة التى ينظرها به الانسان . وهنا نجد العلم الحديث نفسه سلح أعداءه في هذا الصدد بسلاح قاطع ماض . فان البياجة الدروينية أزالت الحاجز الذى وضعته الفلسفة بين الانسان والحيوان ، واعتبرت الحياة العضوية ظاهرة فردة واحدة مهما اختلفت اوضاعها وتعددت مظاهرها ، وبهذا استوى الانسان بالحيوان أوقارب ، وبهذا جاز على الانسان مايجوز على الحيوان ، والانسان يأبى تشريح الانسان حيا ، فلا بد أن يأبى تشريح الحيوان حيا . أم هو يجيز التشريح على اطلاقه ثم يتنصل منه باعتبار ان الانسان له « شخصية » تكسبه حقوقا لاتكون لغيره من الحيوانات لانعدام (الشخصية) فيها .

ان الغرض مهما طاب ومهما خطر لا يبرر التجربة التى تخل بمسلك الانسان الخلقي .

حكوا فيما يحكي عن الامبراطور فريدريك الثاني انه دعا رجلين الى الغداء وأطعمهما حتى امتلأ ، وبعث بأحدهما لينام ، وبعث بالآخر ليصيد ، وفي المساء أمر فشق بطناهما ليعلم أيهما أسرع هضما ، آلذى نام فاستراح ، أم الذى ظل نهاره يجرى وراء الصيد؟ وقضى أطباؤه بالفوز للذى نام . لا يقول أحد ان رغبة فريدريك في المعرفة لم تكن مشروعة ، ولا أن اتجاهه الى تحقيقها بالتجربة العلمية لم تكن محمودة ، ولكن الذى يدم ان التجربة لم تخضع لشروط المسلك الخلقي العام

النبيد الثالث

قرأت حديثا مقالا افتتاحيا فى (مجلة تحسين النسل) Eugenics Review تناول فيها محررها موضوع الدعوى الحديثة فى استكشاف طريقة علمية جديدة يتعين بها النسل قبل ولادته. وبعد ان تشكك الكاتب فى المكتشف قال: ..

ومهما يكن من الامر فلا بد ان نتهيأ لأن نسمع يوما ما بأن قد انكشفت طريقة صحيحة مؤكدة للتنبؤ بالنسل أو التحكم فيه. فان وقع هذا، وهو لابد واقع وان تأخر يومه، فقد وقعت اكبر ثورة فى تاريخ البشر، فعندئذ يتجه الناس لامحالة فى الانسال اتجاها يخل التوازن بين الذكر والانثى اختلالا لن نختلف فى نوعه وان اختلفنا فى مقداره، فيصبح عدد الذكور عشرة أضعاف الاناث أو خمسة عشر أو عشرين ضعفا، وعندئذ كيف تكون الحال؟ لا أجسر ان أقول، ولا يجسر ذو الخيال الرائع أن يقول. وحسبنا أن نقدر أن أول ما يذهب من مُثُل الانسان عفة المرأة وحرمة الزوجية، فهل من الحكومات حكومة تنظر الى الغد فتعد لهذا الانقلاب عدته؟

لعل أقرب من ذلك أن نرجو ان يتفق البيلجيون فيما بينهم، أن يتفقوا من الآن. على ان يحفظوا هذا السر عن الناس اذا هى تمخضت عنه الابحاث، لانه حدث سيكون أوخم عاقبة على المجتمع مما عرف من الاحداث. بالطبع ما من سر الا افتضح على الأيام، ولكن سيكون قد انقضت مهلة قبل افتضاحه قد تمكن اولى الأمر وذوى السلطان من رفع الحواجز واقامة السدود فى وجه هذا السيل الداهم

فلنفرض ان مايقوله المحرر حق، وان العلماء باتوا على مقربة من كشف هذا السر، وأن هذا السر اذا انكشف للناس فعلوا كالذى خاله الكاتب، فما يكون موقف العالم البيلجى عندئذ وما واجبه؟ اينصرف عن ابحاثه خشية ما تجره نتائجها؟ ايقف فى السبيل وقد قارب النهاية احتفاظا بالعفاف الجنسى، ام يقول ان المنشط العلمى من حقه ان يتحلل مما قد لاتستطيع أن تتحلل منه مناشط الحياة الأخرى، وأنه رجل علم فهو بمعصم من المبدأ القائل بأن الرجال مسئولون عن اعمالهم وما يصدر عنها من شر تأكد أو ترجح.

ان التقدم الحديث فى العلم يتجه اتجاهات لم تكن قديما فى الحسبان حتى أن أكثر المفكرين تفاؤلا، وأسرعهم اجابة اذا دعا العلم، بدأوا يتشككون فى تفاؤلهم الكثير، ويرتابون فى فرضهم القديم، أن زيادة المعرفة لن يكون منها غير خدمة الانسانية. والسيطرة على الطبيعة ان يكون منها غير خير المجتمع. قال السير الفرد يونج Sir Alfred Ewing:

« إئذنوا لى كدارس قديم للميكانيكا التطبيقية أن أعبر عن بعض خيبة أحس بها الآن. واناى اعتزالى متحيا مع النظارة جانبا من الطريق انسرح على موكب العلم يسير فى عظم وفخامة، وأتسلى مع المتدابن بركائب المخترعات تتعاقب فى أبهة وضخامة. الى أين يسير هذا الركب الكبير؟ وما أثره الأخير فى مستقبل الاسرة الانسانية؟.. لاشك أنه يحمل للانسان هدايا تجعل حياته أملأ وأوسع وأصح وأغنى وأهنأ، تلك المناءة التى تجلبها المادة الجامدة. ولكن كثيرا ما أهداه المهندس الباحث أسيء استخدامه وبئساء. وبعضه يحمل فى أحشائه مآسى لم تتمخض عنها الأيام بعد. إن الانسان لم يتهيأ بعد أخلاقيا لتقبل تلك المنح الكبرى »

وجملة الامر ان العلم وبال على الانسانية اذا هو اطلق من القيود الأخلاقية التى تضبط مسلك الانسان بقصد اسعاده فردا ومجتمعا؟

العـــدد الاول

من الرسالة

انجزنا طبع العدد الأول للمرة الثالثة، فمن كان فى حاجة اليه فليطلبه رأسا من الادارة بالثمن المعتاد

السنة الأولى للرسالة

بهذا العدد تنتهى السنة الأولى لمجلة الرسالة. وقد كان فى نيتنا أن نختمه بفهرسين أبجديين لجميع أعداده، أحدهما للموضوعات وثانيهما للكتاب ولكن الوقت ضاق فأرجأناه الى العدد القادم وسيكون ملحقا به منفصلا عنه ليسهل وضعه فى مكانه من المجموعة



نظرة فى الحركة النسائية المصرية

للآنسة أسماء فهمى
درجة شرف فى الآداب

بدأت النهضة النسائية فى أوائل هذا القرن ، الا أنها لم تصبح « حركة » الا عند نشوب الثورة المصرية سنة ١٩١٩ اذ نشطت المرأة نشاطا كبيراً وسرت اليها روح الحماس الفياض فلبت نداء الوطن ، وساهمت بنصيب وافر فى الحركة السياسية ، فاشتركت فى المظاهرات معرضة حياتها لما كان يتعرض له الرجل من مخاطر ، وألفت اللجان لبث الدعوة الوطنية وتنظيم حركة المقاطعة؛ وظهرت فى الاجتماعات العامة . ولكم كانت لها مواقف مشهودة فى تلك النهضة المباركة !

ولما هبطت درجة الحماس القوى بسبب الانشقاق بين صفوف العاملين أخذت الحركة النسائية تتجه اتجاها جديداً فاهتمت العاملات بتحسين مركز المرأة الاجتماعى ، وعلى ذلك تألف الاتحاد النسائى سنة ١٩٢٣ تحت زعامة السيدة الجليلة هدى هانم شعراوى ، ووجه عناية كبيرة الى المشاكل الاجتماعية التى تمس المرأة كمسألة الطلاق وتعدد الزوجات وعدم تحديد سن الزواج للفتيات ، ونجح فى حمل البرلمان على الاهتمام بتلك المسائل . كذلك ظهر فى ذاك الوقت من بين النساء من تطالب باشراك المرأة فى التمثيل النيابى .

على أن تلك البداية الحسنة سرعان ما تعرضت للضعف بدورها وانكمشت فى دائرة محدودة لا تتناسب مع مطامع المرأة بدل أن تنمو وتتسع ويصبح لها فروع تهتم بمعالجة نواحى النقص كلها ، فلم نعد نسمع تلك الاصوات الجريئة الفتية التى تدافع عن قضية المرأة ، كما أفلس معظم الجمعيات النسائية التى كان ازدهارها قصير المدى ، وهكذا خلا الميدان مرة اخرى ولم يبق الا عدد قليل من المجاهدات يثابرن شأن الابطال متجاهلات المتاعب والنقد .

ولكن ذلك السكون فى ميدان النهضة لم يكن الا كسكون الطبيعة فى الشتاء الذى فيه تتجدد القوى برغم التجرد والعراء ، فقد دخلت الحركة النسائية على رغم ذلك السكون الظاهر فى طور خطير هو طور الانتقال الهام الذى فيه اتسع نطاق تعليم المرأة فانتشرت مدارس البنات ووحدت مناهج تعليم الذكور والاناث بعد اصلاحها وتوسيعها ، فأصبحت الفتاة التى كان تعليمها قاصرا على مبادىء القراءة والكتابة وقشور اللغات وبعض الفنون المنزلية تتعلم كما يتعلم الفتى ، بل وتفوقه فى الاقبال على العلم واستساغته . وفى سنة ١٩٢٨ سمح للبنات الحاصلات على شهادة اتمام الدراسة الثانوية بدخول الجامعة المصرية . بينما كثرت ارساليات البنات فى تلك الفترة الى الخارج للتخصص فى مختلف العلوم والفنون . ومازالت حركة تعليم البنات سائرة بنشاط رغم سوء الحالة الاقتصادية وما يوضع فى طريقها من عقبات ، وهذا لاشك أعظم انتصار اكتسبته المرأة ، واقوى سلاح فى يدها ؛ ولم يبق الا ان تستغله الى أبعد مدى ممكن .

والآن وقد تكاثر عدد المتعلمات وظهر من بينهن من يمتزن برغبتهن الحارة فى الاصلاح ، فستنتعش ولا شك الحركة النسائية . وان احتفاء زعيمة الاتحاد النسائى بأولى خريجات الجامعة المصرية والجامعات الاخرى فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٣٣ لمبشر بقرب الوصول الى هذه الغاية ، اذ لا يفيد الحركة النسائية أكثر من جمع تلك العناصر النشطة مبدئيا تحت سقف واحد واحداث التعارف بينهن وتشجيعهن وتذكيرهن بحقوقهن وواجباتهن نحو المجتمع ، وبنات جنسهن . وبالجملة أصبح لدى الحركة النسائية أهم العناصر الاساسية اللازمة للنجاح ، وهى الشعور بالنقص ، والرغبة فى الاصلاح ، وعدد لابأس به من السيدات الناهضات ، كما ان لديها أيضا مؤازرة عدد كبير من افاضل الرجال .

على ان مجرد وجود تلك العناصر لايكفى لاحداث الاثر

المطلوب بل لابد من اتحاد تلك العناصر واستغلال جهود الناهضات بأن تصبح لهن جماعات منظمة ، فالحركات القوية الناضجة ذات الأثر الخالد والمشروعات العظيمة قامت بواسطة الجماعات والتعاون. لا بمجهود الافراد. والحركة النسائية فى حالتها الراهنة الخاملة احوج ماتكون الى مثل تلك الجماعات المنظمة التى تدرس وجوه النقص فى مركز المرأة. وتبسط فيها الآمال والآراء. وتكون نواة لظهور الخطيبات والباحثات اللاتى يوجهن أذهان الناشئات الى مكانتهن الهامة فى الحياة ، والى اهمية عهد الانتقال الذى نجتازه. والا أصبح تطور المرأة تطورا غير واع شبيه بتطور النبات والحيوان: يسير بحرك التقليد لابناء عن التفكير والانتخاب والتفضيل. والواقع اصبح يخشى طغيان عامل التقليد على الحركة النسائية بسبب قلة المرشدات والباحثات. فكثير من النساء اللاتى سفرن مثلا واختلطن بالرجال فعلن ذلك تحت مؤثرات (الموضة) وتقليد الغربيات لا بمقتضى مبادىء ثابتة ولا بناء عن تدبر وتفكير. والنهضة ان لم تبن على مبادىء متينة ويكن لها مثل أعلى يوجهها فى اتجاه خاص فلا امل فى بقائها : لانها تصبح عرضة للتقلبات والاهواء كسحابة الصيف.

ثم أنه لا يمكن لغير تلك الجماعات المنظمة القوية القيام باعباء قضية المرأة والدفاع عن حقوقها أمام التقاليد الجائرة ؛ فالمرأة فى مصر مازالت محرومة من حقوقها السياسية. تلك الحقوق التى تمتعت بها المرأة المصرية فى أقدم العصور، وتستمتع بها المرأة فى كثير من الأمم الراقية لخير المجتمع. ثم هناك التشريع الذى لم يتطور مع روح العصر ؛ والذى يعطى الرجل امتيازات يستعملها بمثابة سلاح يشهره فى وجه المرأة كلما هزته شهواته ونزعاته ، وهناك أيضا القيود التى تغل تقدمها العلمى، فلم تفتح امامها بعد جميع انواع التعلم والدراسات. هذا الحق الذى سلم به شيخ الفلاسفة سقراط الذى تعد تعاليمه لب النهى والحكمة. والذى نأخذ عنه وعن تلاميذه كثيرا من مبادىء السياسة والاجتماع والاخلاق.

كل هذه الأشياء التى تعدها المرأة حقا طبيعيا لها والتى لم تحصل عليها بعد ، تبين بجلاء مبلغ خطورة القضية ومبلغ الحاجة الى توحيد الصفوف وانهاض جميع الهمم ؛ فالمرأة فى الواقع لم تقطع الا جزءاً يسيرا من مرحلة شاقة طويلة ، فالأمل معلق على تكوين تلك الجماعات القوية التى ينشدها مستقبل المرأة ؟

(بقيه المنشور على صفحه ٢٩)

وسأحاول بوجه الاجمال أن اعطيكم فكرة عن هذه الصعاب :

ذكرت لكم منذ هنيهة أن اللغة آلة وأداة. أو بالأحرى هى مجموعة ادوات وعمليات صاغها العمل وسخرها لخدمته. فهى وسيلة جافية غليظة لا محالة ؛ يستخدمها كل شخص، ويوفقها لحاجاته الراهنة ، ويمسخها بحسب الظروف . ويضايق تفصيلها على كيانه الجسمانى وتاريخه النفسانى.

وأنتم تعرفون ما تسلطه على اللغة أحيانا من التجاريب والمحن. فان المدلولات ومعانى الكلمات وقواعد تأليف ومخارجها وتقييدها هى ألاعيب لنا وآلات تعذيب معا. ولا مشاحة أننا نراعى بشىء من الاعتبار مايقرره المجمع اللغوى. ولا مشاحة أن رجال التعليم ونسق الامتحانات وعلى الأخص غرور الناس يقيم بعض الحوائل دون تصرف كل فرد فى اللغة على هواه. فضلا عن أن الطباعة فى العصور الأخيرة كانت عاملا قويا للمحافظة على أوضاع الكتابة. ومن ثم أبطأت الى حد ما تعديلات الافراد. إلا أن أهم مزايا اللغة عند الشاعر هى كما لا يخفى خواصها أو طاقتها الموسيقية من ناحية ؛ ومن الناحية الأخرى مدلولاتها المعنوية التى لا حصر لها (وهى القائمة على تكثير المعانى المشتقة من معنى واحد) . واللغة من هاتين الناحيتين أقل امتناعا على هوى الافراد وابتكاراتهم وتصرفاتهم ونزعاتهم. وإن لهجة كل شخص وذخره الوجدانى الخاص ليدخلان على تداول اللغة عنصر لبس، ومظان وهم ، ومكامن بغتة. كلها لا مناص منها ولا معدى عنها. وارجو أن تلقوا بالكم جيداً الى هذين الأمرين : أولهما أن اللغة فيما عدا استعمالها فى أبسط لوازم العيش وأعمها ليست على الاطلاق اداة تحديد ، بل هى على النقيض من ذلك، وثانيهما أنه فيما عدا بعض الاتفاقات التى لا تجىء الا فى النادر جدا وفيما عدا بعض تعابير ميمونة مفلحة أقترنت بقالب مفرغ محسوس . فليس فى اللغة مايجعلها وسيلة للشعر

وجملة القول أن حظ الشاعر العاثر المتناقض قد فرض عليه أداة شائعة الاستعمال ممتهنة ليستخدمها فى أغراض غير اعتيادية وغير عملية. فلا مندوحة له من استعارة هذه الوسائل وهى نكرات أغفال كأرقام التعداد ، ليؤدى بها مطلبه من سمو بالنفس وتعبير عن أخص مافيها وأزكاه ؟

أم عربيـــة

للآنسة سهير القلماوى

ليسانسيه فى الآداب

مكة ارض الله المقدسة فى حصار. الكعبة بيت الله الحرام يروح فيها الجند ويجيئون. الوية هنا ورماح هناك. اسلحة وآلات وجنود داخل المدينة، قائدهم رجل فى السبعين هو عبد الله بن الزبير خليفة الحجاز. وجنود حول المدينة كلهم قوة انهم جند الشام. وكلهم رهبة ان قائدهم شاب فى الثلاثين هو الحجاج بن يوسف الثقفى. جو مكة كله هلع والتياع وكأنما كل شىء يوحى الى اهلها ان استسلموا فالحرب ضروس والموت على الابواب.

ما جت مكة بكثرة الوافدين عليها ليؤدوا فريضة الحج. ولكن جند الشام لم يترك مكانه، وجند مكة لم يبرح محصراً لا يستطيع خروجا. لم يستطع الحجاج ولا جنده الطواف بالبيت بل ظلوا محرمين مكانهم لابسين الدروع فوق الأحرام ولم يستطع ابن الزبير الخروج الى عرفة فنحر هديه فى مكة. جاء جند الشام فافسد على الحجاز كل شىء، سلب الامن اهلها، وشوه شعائر الدين المقامة بها، وبشرها بافول مجدها السياسى بتحول مركز الخلافة عنها. الشام الفتية جاءت لتضطر الحجاز الهرمة الى ان تقنع بما يقنع به الهرم من الحياة.

هدأت الحركة فى مكة بعض الشىء منذ رجع الحاجون الى اوطانهم. ولكن نفوس اهلها فى حركة واى حركة. هلع وخوف وقلق. لقد طال بها الحصار وضاقت نفوس اهلها فلا يستطيعون احتمال المزيد، طال الحصار واشتد الضيق، وصعب الامتحان وكلما صعب الامتحان قل عدد الناجحين. كل يوم يسير فوج الى القائد الشاب طالبا الامان. التفت الزبير فاذا هو قليل الاعوان قليل العدة، شيخ تربطه بالحياة خيوط واهية. مامصيره؟ الموت. ومامصير آماله وهى آمال قطر واحلام شعب؟ ألم يكد يتم له الامر لولا ظهور مروان فى الميدان؟ ألم يكن العراق خاضعا له بالامس بعد ان قتل مصعب المختار؟ ولكن مصعبا قتل، وبقتله افلتت العراق من يد الزبيريين، وغدا سيقتل هو ويفلت الحجاز من يد الزبيريين بعد أن لم يبق بها الا هو.

« اما والله انا لانموت حتف انفنا كميتة آل ابى العاص، وانما نموت قعصا بالرماح وقتلا تحت ظلال السيوف»

هكذا خطب الناس بالامس لما نعى اليه أخوه مصعب. هو لايخاف الموت وانما آمال لايمثلها الا هو، آمال كاد ان يصل اليها ومازال يأمل فى الوصول اليها، آمال قطر، آمال شيعة له فى جميع الاقطار العربية، من يقوم بها من بعده؟

خمسون ليلة واهل مكة يعانون من الحصار كل ضيق. لابد من انفجار. لابد من حدث حاسم. لقد كادت ان تزهق الارواح. جند الشام لايضيرهم استمرار الحصار، ولكن اهل مكة، اهله وشيعته ورعيته يعانون من الاهوال. صمدا ابن الزبير على القتال. ابناه حمزة وحبيب لايزالان معه؛ فتيان من خيرة الفتيان احدهما يقود فريقا والآخر يقود الفريق الآخر. وخرج ابن الزبير من بيته فى الليلة الخمسين ليلقى على ابنيه تعاليم معركة الغد.

« حمزة!.. حمزة!. حبيب!.. حبيب!»

ولكن احدا لم يجب. وبدأت الحقيقة تتكشف لناظره الحزين قليلا قليلا، فاذا هى اشنع مما كان يقدر. حمزة وحبيب ابناه تركاه فى هذا الضيق! والى اين؟ الى عدوه، الى من حاصره، وأذاقه هو واعوانه كل كرب وضيق. وتلاشت صورة القلة من الاعوان امام هذه الخيبة. اى الم؟ اى يأس؟ اى حسرة؟ لم يعد شىء يرجى.

بينما اليأس يحرق قلب الشيخ حرقا اذ بعروة بن الزبير يناديه. ماذا يريد منه عروة؟ عروة يناصر عبد الملك وهو فى امان من هذا الحصار وهذا الجند. ماذا يبغى عروة منه فى ساعة اليأس هذه. عروة رسول امل جديد جاء ليعرض عليه الامن بشروط مرضية: هم يعطونه كل ماله: املاكه، سلامته، حريته التامة؛ كل شىء الا الخلافة. وفى ساعة اليأس يرى اليائس بصيص النور ضياء ساطعا وهاجا. ولكن السن املت عليه التدبر فليتروّ قليلا وليستشر. ولكن من يستشر؟

فى ركن من أركان بيت عبد الله بن الزبير قبعت عجوز فى المائة من سنها. عجوز لها من تجارب الحياة ذخر ثمين، ولها من الصحة ورجاحة العقل رغم هرمها ماشهرت به، ولكن لها فوق هذا كله منزلة فى نفس عبدالله لم يبلغها احد. هى أمه هى اسماء بنت ابى بكر الصديق. فليستشرها هى.

واقترب الابن من امه الوالهة التى جثم الحزن على قلبها طويلا. لقد فجعت حديثا فى ابنها مصعب بعد أن ملأ ذكره الآفاق. بعد ان استولى على قطر من أهم الاقطار العربية وهو العراق، بعد ان قاتل فقتل فى ميدان الجهاد كريما شريفا شهما شهيدا. ولكن حزنها لم يشفع لها لدى الدهر فما زال الدهر يلوح لها بين حين وآخر، بسلب ابنها عبد الله اعز اولادها واطيرهم ذكرا واكثرهم جهادا. دنا ابنها منها وسألها:

ـ كيف تجدينك ياأماه ؟

ـ انى لشاكية .

فقال لماوكأنه يحدث نفسه اليائسة :

ـ ان فى الموت راحة . فاجابته :

ـ لعلك تمنيه لى وما احب ان اموت حتى يأتى على احد طرفيك . اما قتلت فاحتسبك . واما ظفرت فقرت عيني بك

صدمه جواب امه ، وكأنما كان جوابا عما انى يستشيرها فيه ، كيف يسألها ؟ ولكنها لاتعرف عما عرضوه عليه شيئا ، وفى صوت متهدج قال لها :

ـ اماه لقد خذلنى الناس حتى ولدى واهلى ولم يبق معى الا اليسير ، ومن ليس عنده أكثر من صبر ساعة . والقوم يعطوننى ماأردت من الدنيا . فما رأيك ؟

وجاشت فى صدر الام عواطف ونوازع شتى كلها تتزاحم فلايتاح لاحدها فرصة التغلب اوالظهور ـ حنان ، شفقة ، خوف ، شجاعة ، حب لولدها ، حب لوطنها ، حب لربها وللحق ولرسول الحق ولتعاليم الحق . ظلت كل هذه تتصارع فى صدر العجوز صراعا عنيفا ، وظلت الام تعانى آلام هذا الصراع حينا ، وآلام الهزيمة لكل عاطفة تهزم منها . كل عاطفة جزء منها فصراعها يؤلمها وهزيمتها تكاد تقتلها .

ولكن حميتها العربية انتصرت اخيرا وتغلبت من كل هذه العواطف : العواطف الخلقية باسماء بنت ابى بكر الصديق .

وفى صوت ملؤه اليقين قالت لولدها :

ـ انت اعلم بنفسك : ان كنت تعلم انك على حق واليه تدعو فامض له ، فقد قتل عليه اصحابك . ولاتمكن من رقبتك غلمان بنى امية . وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد انت : اهلكت نفسك ومن قتل معك . كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل احسن .

القتل أحسن ولكن ماذا بعد القتل ؟ لن يتورع الجبار من ارتكاب شيء ، لن يردعه دين ولن يردعه خلق . فقال وكأنما الحقيقة تمثلت له قبل وقوعها .

ـ أماه ! انى اخاف ان قتلنى أهل الشام أن يمثلوا بى

ورفعت ستر المستقبل المغيب عن عين الام فرأت ابنها مصلوبا ، وتمثل لها ما سيلاقيه المصلوب من احتقار وتشهير وضحك واستهزاء ، ولكن الحق . الحق و ح من سفكت دماؤهم فى سبيله املت عليها الجواب

ـ الشاة المذبوحة لا يؤلمها السلخ . فامض على بصيرتك

واستعن بالله

نفذ صوت الام الى ابنها فشعت من صدره كل يأس وكل خوف ، وظلت كلماتها تتردد فى نفسه كرجع قلبه ، القتل أحسن ، القتل احسن ، حلت الشجاعة محل اليأس ، وحل جلال الحق محل الخوف من الموت والمثلة . لم يعد يأبه لشيء الا لتلك الثكلى التى ستفقده بعد فقد اخيه بالامس .

ـ اماه انى مقتول من يومى هذا ، فلا يشتد حزنك وسلمى الامر لله ، ان ابنك لم يتعمد ايثار منكر ، ولا عمل بفاحشة ، ولم يجر فى حكم الله ، ولم يغدر فى امان ، ولم يتعمد ظلم مسلم او معاهد ، ولم يبلغنى ظلم من عمالى فرضيت به بل انكرته ، ولم يكن شيء عندى آثر من رضى ربى .

ثم رفع رأسه الى السماء قائلا

ـ اللهم لااقول هذا تزكية لنفسى ولكنى اقوله تعزية لأمى حتى تسلو عنى

خيم الصمت على الام وولدها وقد احست انها ستراه لآخر مرة كما احس هو بذلك ، وترقرق الدمع حارا ملتهبا فى عين العجوز . الدمع الذى ظل محتبسا من اهوال الايام الاخيرة انفجر فى هذا الموقف الذى يجل عن كل دمع .

بدأ ابنها يحس شيئا من الاحجام بعد ان صمم على القتال والاستشهاد ، وخاف ان يستولى عليه هذا الشعور ان لم يسرع بتنفيذ ماصمم عليه . وكأن الام مازالت بروحها تدفعه الى الاستشهاد كما حضته بقولها منذ قليل فسرع نحو الباب بعد ان قبلها قائلا

ـ . اماه لاتدعى الدعاء لى .

ـ . لا ادعه لك ابدا ، وكأنها تريد ان تذكره فقالت

ـ . فمن قتل على باطل فقد قتلت على حق .

خرج ابن الزبير من عند امه فاذا الفجر لاح والمؤذن يدعو الى الصلاة . فليذهب الى المسجد اذن ، عسى ان يبعث الله الى القلب طمأنينة يحتاج بها فلاقى اليوم

صلى ابن الزبير صلاة حارة ارسل بها الى ربه ماوسعه من الشكوى ، وما استطاع من الرجاء ، واحس بأن روحا من العالم الاعلى حلت فى نفسه من جديد ، فلم يعد شيخا ضعيفا بل اصبح شابا مندفعا فى ميدان الاستشهاد .

ظل ابن الزبير بعد الصلاة فى المسجد طويلا ترن كلمات امه فى اذنه حينا ، ويصلى الى ربه حينا آخر فيقول :

يارب ان جنود الشام قد كثروا وهتكوا من حجاب البيت استارا

يارب انى ضعيف الركن مضطهد فامدد الى جنوداً منك انصارا



صديقها عشيقها

للكاتب الروائي الأستاذ محمد خورشيد

رواية مصرية عصرية فى فصل واحد

— ٢ —

المنظر الثالث

احسان وحده

احسان — (يقف ويسير على المسرح ذهابا وإيابا وهو يقول) : صدق فايد لم تحبنى احدى الفتيات الراقيات مع انى أجيد مغازلتهن . كما انى لم أحب فتاة ابدا .. نعم لم احب حبا حقيقيا .. اريد أن أحب فتاة راقية وان تبادلنى الحب . نعم اريد ذلك ... اريد ن اتذوق الحب مرة ... مرة واحدة .. لأتذوق الاندماج والائتلاف والاتصال البديع و ... نعم يجب أن أحب ... لكن من ؟ ... من التى سيقع عليها اختيارى ؟

« يفتح الخادم الباب الذى فى الصدر ويقول لفتاة رشيقة تدخل منه الى المسرح » :

الخادم — تفضلى يا هانم ، سيدى البك سيحضر حالا .

« عندما يراها احسان يقف ويلتفت الى الجمهور ويقول » :

ها هى التى يجب ان أحبها وتحبنى .. « ثم يسرع اليها »

المنظر الرابع

احسان وسميرة

احسان — أهلا . أهلا سميرة هانم . كنت مشتاقا الى رؤيتك

« ويقبل يدها »

سميرة — كيف حال احسان بك ؟ أين أنت ؟ لم انقطعت عن زيارتى ؟ لم ارك منذ زمن طويل . ما السبب ؟

احسان — انى أتألم

سميرة — مم ؟

احسان — من القسوة

سميرة — والحنان ؟

احسان — قد زال

سميرة — من اين ؟

احسان — من قلبك

سميرة — قلبى أنا ؟

احسان — نعم قلبك

سميرة — قلبى يحمل لك أخلص صداقة

احسان — الصداقة هى نصف الطلب

سميرة — آه له نصف آخر ؟

احسان — طبعا وهو النصف المهم

سميرة — لكن الصداقة اهم والأهم يفضل المهم

احسان — الصداقة أهم من الحب فى أى شرع ؟

سميرة — فى شرع العقلاء

احسان — وفى شرع المجانين ؟

سميرة — يتساويان

« وتشير باصبعين متلاصقين وتضحك »

احسان — ابدا فى كل شرع الفرق بين الحب والصداقة كالفرق بين الليل والنهار

سميرة — خصصت الليل بالحب والنهار بالصداقة ، يالك من حاذق ماهر !

احسان — ليس فى قولى مكر اوحذق . صداقتك سوف تملأ نهارى ولكن ليلى سيبقى خاليا . وما اطول الليل الخالى من الحب !

سميرة — كفى مغازلة لاطائل تحتها يااحسان بك . انى احب زوجى كما تعلم

لم يطل الزمن بابن الزبير حتى هاجمه جند الشام من كل فوج . لاذ باستار الكعبة ملاذه وملاذ غيره من قبل ، ولكن الحجاج لايردعه عن غايته رادع مهما عظم ، فرمى الكعبة بالمجانيق وحميت المعركة الفاصلة لا بين المؤمنين والمشركين وانما بين مؤمنين يمثل كل فريق منهم رأيا جديدا وسياسة جديدة . كانت معركة بين سياسة الشام الفتية ، وسياسة الحجاز الهرمة ، بين الخلافة كما كانت ، وبين الخلافة كما تكون ، بين النظم السياسية القديمة ، وبين النظم السياسية الحديثة ، هى معركة القديم والحديث يكررها التاريخ فلا يمل من تكرارها . معركة القديم والحديث ، هل يفوز بها الا الحديث ؟

احسان — لعلمك تحبينه منذ اربعة أعوام ياهانم . هذا كثير . . . كثير

سميرة — اربعة اعوام كثيرة ؟ والذين مضى على زواجهم عشرون عاما ؟ . . .

احسان — على زواجهم لا على حبهم . . . أما انت فقد تزوجت مند اربعة اعوام . وللآن لاتزالين تحبين زوجك . هذا شيء كثير ياهانم . شيء غريب لا سابقة له . . . . الحياة الزوجية تصبح بمرور الايام فاترة مملة محتاجة الى نجدة من الخارج تنعشها وتلهب حرارتها التي ضعفت

سميرة — لي صديقة تزوجت قبلي وللآن لم تضعف حرارة حبها لزوجها

احسان — هذا لا يمكن . حرارة الشمس نفسها قد ضعفت عما كانت عليه

سميرة — من قال ذلك ؟

احسان — علم الفلك . .

سميرة — ضاحكة : دعنا منه . انه كعلم الركة لا أول له ولا آخر

« يدخل فايد من باب اليسار قائلا »

المنظر الرابع

فايد احسان سميرة

فايد — مساء الخير ياهانم . ارجوك المعذرة . كنت أتمم عملا مستعجلا ؛ والآن تجدينني تحت أمرك

سميرة — مساء الخير فايد بك . اريد محادثتك على انفراد

احسان — اسمح لي بالانصراف يافايد اني على ميعاد

سميرة — الى اللقاء ياصديقي

احسان — سأحضر اليك غدا ياهانم ، لنتمم حديثنا وسوف اقنعك (يقبل يدها)

سميرة — اني قانعة بحبي لزوجي . ولا استطيع ان اصدق نظرياتك

احسان — انا طويل البال ياهانم . والايام بيننا . الى اللقاء يافايد (يصافحه)

فايد — متى اراك ؟

احسان سأعود بعد ساعة « يخرج »

المنظر الخامس

فايد وسميرة

فايد — تفضلي اجلسي ياهانم « تجلس ويجلس هو قريبا منها »

سميرة — اني آتيه من عند حكمت . أتعلم انها حزينة ؟

فايد — وانا لست بمرحان

سميرة — انت تغضبها كثيراً ولا تشفق عليها

فايد — هي تغضب من لاشيء . دعيك من غضبها ماذا قالت لك ؟

سميرة — تخاصمتما أول أمس فخرجت غاضبا ولم تعد اليها حتى الآن .

فايد — نعم تخاصمنا ولكن هل تعلمين فيم كانت الخصومة ؟

سميرة — فيمه ؟

فايد — كانت في أني ذهبت الى الجزيرة الصغيرة

سميرة — ولم ذلك ؟

فايد — الجزيرة الصغيرة من الأمكنة المحرمة علي لأنه يحتمل ان اقابل فيها احدى الغانيات الجميلات فتفتنني رؤيتها . أو احدى المواهم المستهترات فاهيم بحبها

سميرة — ومن قابلت بالجزيرة الصغيرة ؟

فايد — لم اقابل احدا . انما حدث بينما كنت أنا واحسان في طريقنا بالسيارة الى فندقمينا هوس أن رجاني ان نعرج على صابر بك في ذهبيته ونأخذه معنا ؛ وذهبية صابر راسية بالجزيرة الصغيرة فخشيت ان انا صرحت لاحسان بأن حكمت تأبى علي الذهاب الى الجزيرة الصغيرة أن يهزأ بي ويجعلني مضغة في الأفواه — لأنه كما تعلمين مستهزىء متهكم — لذلك اضطررت رغما عني أن أجيب رجاءه وأذهب معه . ولكن احدى صديقات حكمت كانت لسوء الحظ تتنزه هناك في تلك اللحظة فرأتني وأخبرتها . هذه كل جنايتي التي تخاصمنا من أجلها . عندما ذهبت اليها أول أمس أمطرتني وابلا من الأسئلة فأخبرتها بالحقيقة كما ذكرتها لك . لكنها لم تصدقها وصممت على رأيها أني انما كنت على موعد مع فتاة لي بها علاقة ، وطلبت مني أن أذكر اسمها ؛ فأقسمت أن لا علاقة لي بغيرها وأني لا أحب سواها . أخذت ألاطفها وأهدىء روعها حتى خيل إلي أني أفلحت في إقناعها ؛ لكنها مالبثت أن عادت تلح على ان اذكر لها اسم الفتاة فعدت اقسم وأؤكد وهي مصرة لاتتحول حتى عيل صبري ولم اتمالك نفسي فتخاصمنا وخرجت غاضبا . هذه حال لاتطاق . تغضب من لاشيء . لاتصدق لي كلاما ؛ ترتاب في كل اعمالي . تشك في جميع اقوالي .

سميرة — انها تحبك وهى ككل امرأة تحب ، مستبدة غيورة

فايد — لكن ياهانم للغيرة حدود

سميرة — آه لو رأيتنى مع زوجى فى مطعم أو فى دار تمثيل أراقب حركاته فى يقظة ، وأتتبع نظراته باهتمام ، حتى اذا ما آنس بحركة ، أشتبه فيها ، أو رمى ببصره جهة معينة يتحول فى الحال نظرى اليها ، والويل له لو كانت هناك امرأة ، أغمره بأسئلة لا تنتهى . لا أصدق له كلاما ، وأستمر اسأل وأحقق وأقول وأعيد حتى أنغص عليه عيشه ، لكنه برغم كل ذلك الرجل الوحيد الذى أحببته والذى لا أزال أحبه ، أسبب له الحزن والكدر ثم أعود فاتودد اليه واسترضيه حتى اذا ما عانقنى ألجأ الى صدره وانا أسعد المخلوقات . كلنا هكذا عند ما نحب . صدقنى .

فايد — (لا يجيب وانما يطرق برأسه الى الأرض)

سميرة — لا يجوز لعاشقين ان يفترقا من اجل نزاع غرامى

فايد — لا . يجب ان نفترق او تغير طبعها

سميرة — وكيف تغير طبعها وهى تحبك ؟ انك لا تطلب من سيارة الاتسير ، فكيف تطلب من امرأة الا تغير ؟ يجب ان تتساهل يا فايد بك . يجب على الرجل ان يتحمل

فايد — تحملت كثيراً ياسميرة هانم

سميرة — تحمل هذه المرة ايضا

فايد — اهى التى ارسلتك ام حضرت من تلقاء نفسك ؟

سميرة — هى التى ارسلتنى ولكنها رجتنى ان اخفى عنك ذلك ، انها تحبك وتتألم لبعدك . لا تكن قاسيا

فايد — لست بقاس ياهانم

سميرة — حكمت لا مثيل لها ذكاء وظرفا وطيبة ووفاء .

فايد — انى واثق من ذلك

سميرة — اذن . . . اذهب الليلة اليها وصالحها

فايد — ساسافر الليلة الى استامبول

سميرة — تسافر ؟ .. تسافر دون ان تقابلها وتودعها ؟

فايد — يجب ألا اقابلها الآن . أريد ان افكر على انفراد فى حبنا . . . فى مستقبلنا

سميرة — لكنها ستحزن . . . أيرضى قلبك ان تسافر وتتركها هكذا حزينة ؟

فايد — قلبى مطمئن عليها لأنى ساتركها معك . أخبريها أنى مازلت احبها وان غيبتى لن تطول

سميرة — لايمكننى . لتعلم بسفرك من غيرى . ولكن ماذا اقول لها ؟ انها فى انتظارى

فايد — (يفكر قليلا ثم يقول) قولى انك لم تجديني

سميرة — حسن . افضل ان اكذب عن ان ابلغها مايحزنها ، مع السلامة يابك ، عد الينا سريعا (وتقف)

فايد — (ويقف ويقول) سلمت ياهانم ، وشكرا على جميل سعيك (يقبل يدها)

سميرة — حكمت صديقتى من عهد الدراسة ولها مكانة خاصة (تقول وذلك وهى خارجة مع فايد)

المنظر السادس

فايد وحده .

(يعود فايد ويجلس الى المكتب ويرتب اوراقا فى ادراجه وهو يقول) ستحزن كما قالت سميرة ، ستحزن لأنها تحبنى ، أنى واثق من حبها ... وانا احبها .. آه لولم تكن غيورة .. تباً للغيرة كم تعذب وكم تشقى !.. أنها الآن تتعذب .. وانا .. امصيب انا فى سفرى ام مخطىء ؟ هل فى استطاعتى البقاء شهرين بعيدا عنها محروما من رؤية وجهها النضر وعينيها الناعستين وفمها العذب ؟ . . . أخشى الا استطيع .. أشعر انى لااستطيع .. لقد منعتنى عزة نفسى عن العودة اليها ، فتمنعها فرصة ارسالها سميرة .. أصبحت ولابد لى من السفر .. نعم لابد .. مابالبد حيلة .. (هنا تدخل حكمت ؟)

المنظر السابع

فايد وحكمت

فايد (يقف ويسير الى حكمت قائلا (أنت ؟ انت ؟)

حكمت — نعم أنا ، جئت لأنك رفضت المجىء عندى . جئت عندما علمت من سميرة بنبأ سفرك ، ولم تمنعنى عزة نفسى . احقا ستسافر الليلة ؟

فايد — نعم

حكمت لولم اجىء كنت سافرت دون ان ترانى ؟

فايد — كنت سأكتب اليك واشرح . . .

حكمت — (متهكمة) مادمنا قد تقابلنا تكلم . قل ما كنت ستكتب ، أشرح كما تشاء . كن مطمئنا . لانزاع ولاخصام . ولو ان النزاع قد اصبح من مستلزماتى . وانى اصبحت انغص عليك عيشك

فايد — لقد نقلو اليك الكلام محرفا كالعادة عزمت على السفر دون ان احظى برؤيتك خوفا من نفى لامنك

التتمة فى العدد القادم

النفس والرقص

للكاتب الشاعر الفرنسي العظيم پول فاليرى

ترجمة الدكتور طه حسين

استكشف صديقى الدكتور محمد عوض محمد فى نقده القيم الظريف لكتابى على هامش السيرة أن وراء هذا الطلاء الرقيق الذى أظهره من الثقافة الغربية أزهريا قحاً . فحق على أن أهنئه بهذا الاستكشاف وأن اشكره له ؛ فقد دلنى على نفسى وأظهرنى على حقيقة أمرى . ولعله يأذن لى فى أن أهدى اليه هذه الترجمة اعترافا بفضله ومكافأة له على جهده الخصب العظيم

* * *

وأحب أن أقدم بين يدى هذه الترجمة ملاحظات لا بد منها

الاولى : أننى حرصت أشد الحرص على أن تكون الترجمة دقيقة تشبه الحرفية ، لأنقل الى القراء صورة ان لم تكن مطابقة فهى مقاربة لما أراد الكاتب ان يقول

والكاتب نفسه غامض . فهذا النحو من الترجمة يزيده غموضا ولكنى ساجتهد فى توضيحه بتعليقات قصيرة تبين ما يريد

الثانية : أن الكاتب زعيم من زعماء الرمزيين فهو يطلب الاستعارة والمجاز والتشبيه والتمثيل ، ويبعد فيها ويصل بهذا الابعاد الى إشراك القارىء معه فى لذة التفكير والاستنباط ، فلا ينبغى اذن ان يضيق القارىء بما سيرى من غرابة ، وانما يجب عليه أن يصبر على هذه الغرابة ويروض نفسه على مواجهتها حتى يألفها ويطمئن اليها فيصبح صديقا للكاتب ومحبا لآثاره

الثالثة : ان هذا الكتاب حوار بين سقراط واثنين من تلاميذه فى آخر وليمة من ولائم العشاء ، فليلاحظ القارىء هذا وليلاحظ ان سقراط واصحابه كانوا وثنيين ، فهم يتحدثون لغة الوثنيين ، يذكرون آلهة عدة ، لا إلاهاً واحداً

الرابعة : ان عنوان هذا الكتاب وموضوعه قد يؤذيان سمع المتحرجين من الشرقيين ، ولكنهما لا يؤذيان سمع احد من الفرنسيين ، ومن المحقق ان پول فاليرى لم يكتب كتابه لنا ، ولو أنه فكر فينا وقدر أنا قد نترجم كتابه لكان من الممكن ان يتخذ لكتابه موضوعا وعنوانا غير الرقص . ومن يدرى لعله كان يحس ان الاسباب بينه وبيننا مقطوعة غير موصولة ، وانه قد يعجز عن ان يكتب لنا . وقد نعجز نحن عن ان نقرأه .

وليس فى هذا الكتاب مايسوء ، وليس فيه مايغضب المتحرجين ، انما هو أثر من الآثار الفنية اراد صاحبه ان يصور فى وضوح وقوة مابين النفس والجمال الخارجى من صلة . فهو الى ان يكون رسالة فى علم الجمال ادنى منه الى أى شىء آخر .

والآن نستطيع ان نأخذ فى الترجمة .

أركسيماك — أى سقراط انى اموت (١) ! . . أعطنى شيئا من الروح ! صب لى التفكير ! . . قدم الى انى الغارك الحادة ! هذا الطعام الذى لا رحمة فيه يتجاوز كل رغبة معقولة فى الطعام ، وكل ظمأ جدير بالثقة ! . . يا لها من حال . حال الذين يعيشون بمجيد الألوان ويرثون عنها هضما ! . . . لم تعد نفسى الا حلما تصنعه المادة التى تجاهد نفسها (٢) ! ايتها الالوان الجيدة المسرفة فى الجودة انى آمرك ان تمضى ! . .

واحزناه ! مازلنا منذ وجبت الشمس فريسة لخير ما يوجد فى الارض ، هذا الخير الهائل يضاعفه (٣) امتداد الزمان ، يثقل محضره على النفوس حتى انى لتهلكنى رغبة شاذة فى اشياء جافة ، خالصة للعقل (٤) . . . إيذن أن احيى . فأجلس الى جانبك انت والى جانب فيدر ، موليا ظهرى فى جرأة لهذه اللحوم التى تتجدد دائما ، ولهذه الاقداح التى لا تنضب ، دعنى أمدد لكلماتك (٥) ، هذه الكأس العليا كأس عقلى : ماذا كنتما تقولان ؟

فيدر — لم نكن نقول شيئا بعد . انما كنا ننظر الى امثالنا يأكلون ويشربون .

اركسيماك — ولكن سقراط لا ينقطع عن التفكير فى شىء ما . . . . وهل استطاع قط ان يخلو الى نفسه وان يظل صامتا الى اعماق النفس ! لقد كان يبسم فى حنان لشيطانه على الحافة المظلمة لهذه المأدبة . ثم تغمغم شفتاك اى سقراط العزيز ؟

سقراط — هما تقولان لى فى هدوء . ان الرجل الذى يأكل هو اعدل الناس . . .

---

(١) يريد اركسيماك ان يقول انه اسرف فى الاكل والشرب والعناية بجسمه حتى ضاقت نفسه بذلك نهيمية او كالميتة . وهو يطلب الى سقراط ان يرد اليها الحياة العقلية كما ترد الحياة الطبيعية الى الذين يأخذهم الاغماء

(٢) يريد مابين معدته وطعامه من الصراع للهضم

(٣) يريد ان الوان المأدبة جيدة وان مكثهم على المائدة طويل

(٤) يريد الحوار الفلسفى

(٥) يريد دعنى استمع لحديثك

اركسياك ـ هذا هو اللغز (١) وهذه هي شهوة العقل التي تخلق اللعز ليثيرها .

سقراط ـ تقولان ان الرجل الذي يأكل يغزى مافيه من خير وشر . كل لقمة يجدها تذوب وتتفرق في جسمه تقدم قوة جديدة الى فضائله . كما تقدم قوة جديدة الى رذائله دون تمييز . وتتقسم في بعض الانحاء بين الشهوة والعقل . وهي تقيم اود آلامه كما تنمي آماله . يحتاج اليها الحب كما يحتاج اليها البغض . وان فرحي وحزني وذا كرتي وهمي لتتقسم كما يتقسم الاخوة ما في اللقمة من غذاء . ما رأيك في هذا يا ابن اكومين ؟

اركسياك ـ رأيي اني ارى ماترى .

سقراط ـ بالك من طبيب ! لقد كنت أعجب في صمت باعمال كل هذه الاجسام التي تتغذى . كل واحد منها يعطي على غير علم لما فيه من قدرة على الحياة ، او جرثومة للموت ، حظه العادل من الغذاء . هي لا تعرف ما تأتي ولكنها تأتيه كأنها الآلهة . (٢)

اركسياك ـ لقد لاحظت منذ زمن بعيد ان كل ما يمتزج بجسم الانسان يمضي بعد ذلك بوقت قريب كما يريد القضاء . كأن برزخ الحلق عتبة للضرورات الجامحة والالغاز المنظمة . هنا تنقطع الارادة وينتهي الميدان المحقق للمعرفة . (٣) ولهذا اعرضت في ممارسة فني عن كل هذه الادوية المضطربة التي يفرضها عامة الاطباء على مرضاهم المختلفين واخذت نفسي في غير تسامح بادوية بديهية مرتبة كل واحد منها بازاء الآخر

فيدر ـ ماهذه الادوية ؟

اركسياك ـ هي ثمانية : الحار والبارد ، الحي ونقيضها ، الهواء والماء ، والسكون والحركة ، هذه هي .

سقراط ـ اما النفس فليس لها الا دواءان يا اركسياك

فيدر ـــ وما هما ؟

سقراط ـــ الصدق والكذب .

فيدر ـــ وكيف ذلك ؟

سقراط ـــ اليست الصلة بينهما كالصلة بين اليقظة والنوم ؟ الست تلتمس اليقظة وصراحة الضوء حين يؤذيك حلم ردىء ؟ اليست الشمس نفسها تبعثنا من مراقدنا ؟ اليس حضور الاجسام الصلبة (٤) يقوينا ؟ ثم على العكس من ذلك ألسنا نطلب الى النوم والى الاحلام ان تفرح همومنا وان تقف آلامنا التي تتبعنا في عالم النهار ؟ واذن فنحن نهرب من احدهما الى الآخر وندعو النهار في اثناء الليل . ثم ندعو الظلمة حين نستمتع بالنور ، تشوق المعرفة ، ويسعدنا الجهل ، نبحث فيما هو موجود عن دواء لغير الموجود ، ونلتمس فيما لا وجود له راحة مما يوجد ، يتلقانا الحق الواقع تارة ، ويتلقانا الوهم تارة اخرى . والنفس في آخر الامر لا حيلة لها الا في الصدق الذي هو سلاحها ، والكذب الذي هو وقاؤها .

أركسياك ـ حسن ! حسن ! . . ولكن ألا تظن أي سقراط العزيز ان لخاطرك هذا نتيجة

سقراط ـ اي نتيجة ؟

أركسياك ـ هذه : وهي ان الصدق والكذب يرميان الى غاية واحدة . . فشيء واحد يستطيع من طريقين مختلفين ان يجعلنا صادقين او كاذبين ، وكما ان الحر والبرد يهاجماننا حينا ويحميانا حينا آخر ، فان الصدق والكذب والارادات المختلفة التي تلائمهما ، تنفعنا حينا وتضرنا حينا

سقراط ـ ليس شيء اوكد من هذا ولا حيلة لي فيه . انما هي الحياة تريد هذا ، وانك لتعلم اكثر مني ان الحياة تستخدم كل شيء . كل شيء حسن عندها يا اركسياك ، ثم هي لا تنتهي بشيء الى غاية ما ، ومعنى ذلك انها لا تنتهي الا الى نفسها . اليست هي هذه الحركة الخفية التي تحولني دائما الى نفسي بفضل كل هذه الحوادث التي تطرأ ثم تردني سريعة الى شخص سقراط لألقى نفسي فيه ثم لأكونه لاني اتخيل اني ساعرفه من غير شك ـــ انما هي امرأة ترقص ولو استطاعت أن تمضي في وثباتها حتى تبلغ السحاب لتنزهت عن أن تكون امرأة ، وكما أننا لا نستطيع أن نمضي الى غير نهاية لا في الحلم ولا في اليقظة فهي ايضا تعود دائما الى نفسها وتخرج عن أن تكون ثلجا منثوراً او ان تكون طائراً ، او أن تكون فكرة ، او ان تكون اي شيء . أراد المزمار (١) أن تكونه لأن الأرض التي بعثتها تدعوها وتردها متعبة الى طبيعتها الاولى طبيعة المرأة ، ثم الى صديقها .

فيدر ـ يا للمعجزة !.. يا لك من رجل عجيب .. يكاد ما أرى ان يكون معجزة حقا ! لا تكاد تنطق حتى تخلق ما لابد منه . . . لا تستطيع الصور التي تحدثها ان تبقى صورا . . انظر محققا كأنما فمك الخالق

---

(١) يريد ان في جواب سقراط من الغموض والغرابة ما يوقظ نفسه وينشطه للتفكير .

(٢) يريد انها تفعل ذلك في نظام مضطرد لايختلف ولا يضطرب

(٣) يشير الى أن الهضم والتغذية وما اليهما ، امور آلية لا تتحكم فيها الارادة ولا المعرفة

(٤) يريد الكائنات التي يشهدها الانسان في اليقظة

(١) يشير الى تنظيم الموسيقى للرقص ويتخذ ذلك رمزاً لتأثير الظروف المختلفة في الحياة بحيث تذهب بها المذاهب المختلفة ثم ترتد الحياة الى نفسها

قد انشأ النحلة والنحلة والنحلة (١) انظر الى الجوقة ذات الاجنحة تتألف من الراقصات الشهيرات ! ... ان المواد لتدوى مرجعا ماسيتكشف عنه فن الرقص !.. كل المشاعل تستيقظ ! وغمغمة النائمين تتحول . وعلى الجدران التي يهزها اللهب المضطرب تدخل وتشفق الظلال العريضة ظلال السكارى .. انظر الى هذه الفرقة التي تجمع بين الخفة الظريفة والجد الحازم ! – هن يدخلن كأنهن الارواح

ستراطـ الله ما أوضح هؤلاء الراقصات (٢) !.. يالها مقدمة حية (٣) رشيقة لأفكار ادنى الى الكمال ! .. ان ايديهن لتطلق وكأن اقدامهن تكتب – كم من دقة في هذه الكائنات التي تجتهد في ان تستخدم موفقة مالها من قوى ناعمة . كل مصاعبى تهجرنى . وليست هناك الآن مسألة تجهدنى ، اننا اطيع سعيدا حركة هذه الاشكال ! انما اليقين هنا لعب ، كأنما المعرفة قد وجدت نفسها ، وكأنما العقل يستجيب فجأة للجمال الظريف الذى لا تكلف فيه (٤) انظر الى هذه الفتاة أشدهن نحافة وا كثرهن فناء في الاستقامة الخالصة... من تكون؟ إنها لصلبة في عذوبة ، وان مرونتها لتعجز الواصفين (٥)..انها لتسلم انها لتستعيدانها لتؤدي الوزن (٦) في دقة حتى لو اغمضت عيني لرأيتها كما هي بسمعي انى لاتبعها ، انى لاجدها وليس الى ان افقدها من سبيل ولو قد سددت اذني ونظرت اليها كما هي وزن وموسيقى لكان المستحيل الا اسمع القيثارة ! (٧)

فيدر – هي رودوبيس هذه التي تخلبك

سقراط – إذن فما اجل اتصال أذن رودوبيس بكعبها ... (٨) ما ادقها ... انها لترد الى الزمن الشيخ شبابه

اركسيماك – كلا يافيدر ! ..... رودو بيس هي هذه الاخرى التي تلاطف بطرفها الى غير حد في عذوبة وسهولة .

سقراط – واذن فمن هذه النحيفة ذات المرونة الشاذة ؟

١ – يشير الى الراقصات اللاتي يقبلن متتابعات كأن سقراط قد دعاهن حين ذكر الرقص ، وهذا تخلص من الكاتب الى موضوع الكتاب

٢ – يشير الى جمالهن الرقيق

٣ – يريد أن هذا المنظر يجلو النفس ويرقي بها الى التفكير القريب من الكمال

٤ – يريد ان هذا المنظر الجميل قد رفعه عن طبيعة الانسان المادي وجلا لنفسه الحقائق ظاهرا في غير حاجة الى تفكير واستنباط

٥ – يريد ان جسمها متماسك مرن في وقت واحد

٦ – يشير الى ملائمة الرقص للموسيقى

٧ – يريد ان رقصها ملائم للموسيقى حتى انه ليسمع الموسيقى حين لا يرى الا الرقص او ليرى الرقص حين لا يسمع الا الموسيقى

٨ – يريد ان قدميها تتفقان بالرقص مع ما تسمعه اذنها من التوقيع .

اركسيماك – هي رودونيا

سقراط – ما اجمل اتصال أذن رودونيا بكعبها !

اركسيماك – على انى اعرفهن جميعا واحدة واحدة واستطيع ان اسميهن لكما فاسماؤهن تنتظم انتظاما حسنا في شعر قصير يسهل حفظه : نبس ، نفوبه نيا – تكتيريس ، نميليه ، نكتيس – رودوبيس ، رودونيا – تليه . . . اما هذا الراقص القصير الدميم فيسمى تاربوس ولكن ملكة الجوقة لم تدخل بعد .

فيدر – ومن تملك على هذه النحل ؟

يتلى

طه حسين

أغلاط مطبعية في قصيدة الشعر والشاعر المنشورة بالعدد ٢٤

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٢٤	١٠	يقيق	يضيق
٢٤	١٨	البحر	المجر
٢٤	٢٥	شمالا	شمال .
٢٥	٣	سرا	سردا
٢٥	٩	به	بنصر
٢٥	٢٠	مدى	عرصر
٢٥	٢٣	هيصر	مصر .

السطر رقم ٢١ يقدم على السطر ٢٠ في ص ٢٥

تقويم الهلال

أصدرت دار الهلال تقويمها السنوى لعام ١٩٣٤ وهو يحتوى على حوادث العام المنصرم وطوالع العام القادم : وفيه فصول ممتعة عن كثير من المسائل السياسية والاجتماعية التى تشغل الاذهان فى الوقت الحاضر : مثل مشروعات الرى الكبرى ومسألة الدين المصرى : وعصبة الامم ، والمؤتمرات الدولية ، والنظارات والوزارات المصرية ؛ وفيه نبذ فنية وعلمية وفكاهية كثيرة : وهو كجميع مطبوعات دار الهلال متقن الطبع تتخلله صور عديدة أنيقة . فلفت اليه الانظار ونرجو ان يلاقى مايستحق من التقدير والرواج

فن قراءة الافكار

وعلوم نفسية متنوعة

هذا كتاب أخرجه الاستاذ وليم سرجيوس المحامى ، يبحث فى العقل الباطن من حيث اسلوبه وموطنه من الانسان ، وقواه المختلفة . ويكفى أن يكون هذا مبحث الكتاب ليجتذب القراء الى تلاوته . وثمنه خمسة قروش

فهرس أبجدى عام لموضوعات السنة الأولى للرسالة

فهرس أبجدى للكتاب

(ملاحظة) : الارقام الموضوعة أمام الاسماء هي أرقام المقالات التي كتبها الكاتب حسب ترتيبها في فهرس الموضوعات